الثقافـة الآمنـة

الثقافة الآمنة

تأليف

محمد بن موسى الشريف


بسم الله الرحمن الرحيم

"إن الثقافة -في حقيقتها- هي الصورة الحية للأمة؛ فهي التي تحدّد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها.

وهي التي تضبط سيرها في الحياة وتحدد اتجاهها فيها.

إنها عقيدتها التي تؤمن بها.

ومبادئها التي تحرص عليها.

ونظمها التي تعمل على التزامها.

وتراثها الذي تخشى عليه الضياع والاندثار.

وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار ..."

عمر عودة الخطيب

"الثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكري والواقعي والإنساني، وفيها من القواعد والمناهج والخصائص ما يكفل نمو هذا النشاط وحيويته دائماً".

الأستاذ سيد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كثر الحديث عن الثقافة وتشعب، ووضعت فيها مصنفات، وعُقدت لها مؤتمرات، وخاض الناس في شأنها خوضاً عجيباً، بل قُسم الناس إلى مثقفين وغير مثقفين، فمُجد المثقفون ووُضع من شأن غير المثقفين، وأصبحت المجتمعات يُوزن قدرها بقدر ما فيها من مثقفين، وبقدر ما ينتشر فيها من ثقافة، وكان ذلك كله -ويا للعجب- بدون مقاييسَ واضحة، ولا معالمَ هادية، ولا معاييرَ ضابطة يُرجع إليها في تحديد وتعريف مصطلح الثقافة.

وقد أنشأت الأمم المتحدة منظمة "اليونسكو" وهي "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة" أنشأتها في لندن سنة ١٣٦٥/١٩٤٥ لتهتم بالثقافة، ومنذ ذلك الحين عظم الحديث عن الثقافة وازداد انتشاراً.

ــ وقد عُقدت مؤتمرات كثيرة لمناقشة قضية الثقافة ووضع تعريف جامع مانع لها، بدءاً من المؤتمر العالمي الأول للثقافة في مدينة البندقية بإيطاليا سنة ١٩٧٠/١٣٩٠[١] إلى هذا العصر[٢]، وكتبت فيها كتابات كثيرة لكن لم يصل المفكرون في شأنها إلى تعريف مُرْضٍ إلى الآن[٣]، وهذه الصعوبة مردها إلى جملة أسباب، منها:

أن مصطلح الثقافة إنما هو مصطلح حادث جديد على الناس لم يستخدمه الأقدمون الاستخدام الشائع اليوم.

ومنها اختلاط مفهوم الثقافة بمفاهيمَ أخرى كالحضارة والعلم.

(١) "نحو ثقافة إسلامية أصيلة": ١٧.

(٢) عقد المؤتمر العالمي الثاني للبحث في السياسات الثقافية الذي كان برعاية اليونسكو في المكسيك سنة ١٤٠٢/١٩٨٢، وحضره ممثلو ١٢٩ دولة، وقد ناقشت إحدى جلسات المؤتمر تعريف الثقافة، وقد أجمع أعضاء اللجنة على أن هذه الكلمة لا تزال غامضة وغير محددة، وذلك بعد مضي ١٢ سنة على انعقاد المؤتمر الأول بالمكسيك: انظر "نحو ثقافة إسلامية أصيلة": ١٧.

(٣) في مطلع الخمسينات الميلادية من القرن الفائت حصر عالمان أمريكيان مائة وخمسين تعريفاً للثقافة: انظر "موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة": ١٨٢.

ومنها أن الأسس التي يقوم عليها صرح الثقافة يختلف النظر في شأنها وقبولها عند الأمم المختلفة.

فعلى هذا أصبح الحديث عن الثقافة: تعريفاً وتبييناً وتقعيداً وتأصيلاً وضبطاً هو من المهمات التي ينبغي أن يُتصدى لها، ولا أزعم أني في بحثي هذا قد أتيت على ذلك، أو أني قد وصلت إلى ما لم يصل إليه الآخرون، لكن أظن -والله أعلم- أني حاولت تجنب الخلاف في القضايا النظرية المحضة التي لا تعود على الخائضين فيها إلا بمزيد من الحيرة والتشتت، وأعملت النظر فيما ينبغي أن تكون عليه الخطوات العملية للوصول إلى الثقافة المنشودة؛ وذلك على وجه يتجنب الخلاف قدر المستطاع ويكون محاولة لوضع أسس يجتمع عليها الآخرون ممن يريد أن يخوض في غمار هذا الموضوع، ولا بأس بعد ذلك أن يُكَرَّ عليها أو على بعضها بالنقض، أو يضاف عليها ما يقويها ويرسخ معالمها.

على أني لم أُخْلِ هذا الكتاب من الحديث النظري لكني جعلته أقرب إلى التأصيل والضبط منه إلى المناقشة الطويلة للآراء المختلفة والمذاهب المتعددة في باب الثقافة، وكان عملي في هذا الكتاب كالآتي:

١. كتبت مقدمة موجزة في المبحث الأول تعين القارئ على فهم مصطلح الثقافة، والمراد منه، وعلاقته بمصطلحات أخرى كالحضارة والعلم، ومعنى الثقافة الإسلامية وتاريخها.

٢. حاولت الإجابة على السؤال الصعب: متى يُعد الإنسان مثقفاً؟ وهذا أصعب ما حاولته وعانيت منه في هذا الكتاب؛ وذلك لأن الناس انقسموا انقساماً بيناً في هذا الأمر، ولم يوصل فيه إلى الآن إلى شيء ذي بال، وكثير ممن كتب في الثقافة أهمل هذا الموضوع فلم يلتفت إليه، هذا مع أنه -فيما أرى- حجر الزاوية في هذا الباب، وهو لب اللباب، وذلك لأنه يضبط البدايات ويُحكم النهايات، ويكون عوناً على التحصيل النافع الجيد.

فلابد من قدْر مشترك بين الأمم مَن حَصّله يعد مثقفاً، أما الأمة الإسلامية فلابد للمثقف فيها من تحصيل ليس يماثله تحصيل الآخرين إلا في قدره المشترك فقط، وسآتي على تفصيل ذلك في ثنايا الكتاب، إن شاء الله تعالى، لكن لابد من معرفة أن أكثر منابر الثقافة في العالم العربي يسيطر عليها أشخاص يدعون أنهم مثقفون وهم ليسوا كذلك في الحقيقة -كما سأبين بعد في ثنايا الكتاب، إن شاء الله- ومن جهة أخرى حصرت هذه المنابر الشخصيات الثقافية -غالباً- في الأدباء والشعراء والصحفيين وأمثالهم وأهملت -عمداً في أغلب الأحوال- سائر المثقفين الحقيقيين في المجتمع، وأقامت هذه المنابر الثقافية سداً بينها وبين علماء الشريعة وطلابها الذين حيل بينهم وبين هذه المنابر، ولذلك كله حرصت على تعريف المثقف وتوضيح المعايير الثقافية الحقيقية التي ينبغي أن تسود في المجتمع.

٣. ثم ذكرت أهمية تحصيل الثقافة الإسلامية، وأثر ذلك في الناس والمجتمعات.

٤. ثم إني أتيت على سبل وطرائق تحصيل هذه الثقافة، وهو أمر شاق صعب، وهو -على الحقيقة- تفصيل لما أُجمل في الأمر الثاني الذي ذكرته آنفاً، فبينهما تلازم لا يخفى، وهو أمر صعب لأنه اجتهادي تختلف فيه الأنظار، ولأني لم أجد من تحدث عن هذا الموضوع الحديث الشافي الموسع، بل أغفله الكثيرون كما ذكرت سابقاً، فلم يأتوا عليه في مصنفاهم التي صنفوها في الثقافة.

٥. وقد ذكرت جملة من المصادر والمراجع في كل ما أوردته من مسائل، وذلك لإعانة طالب المعرفة على التوسع في القراءة والفهم بالاطلاع على مصادرَ ومراجعَ موثوقة -إن شاء الله تعالى- في بابها.

هذا وقد طلب مني كثير من الناس، ولا أحصيهم عدداً لكثرهم، طلبوا مني طلباً ملحاً في أوقات كثيرة أن أكتب لهم شيئاً يعينهم على التعرف على المصادر والمراجع حتى يقتنوها، وذلك في أبواب العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية وما يتصل بها، وكنت أجيبهم

بأن هذا أمر صعب، لكن إلحاحهم الكثير جعلني أفكر بأن أودع جملة كبيرة من المصادر والمراجع في هذا الكتاب ليكون محققاً لجزء مما طلبوه لكن على وجه متصل بمسألة مهمة هي مسألة تحصيل الثقافة الإسلامية النافعة، وعسى أن يكون هذا الذي قدمته نافعاً ومساعداً لإخواني ومجيباً لطلب قديم ألحوا علي فيه مراراً، أو لجزء من هذا الطلب.

٦. ثم إني حاولت أن أُعرّف -موجزاً ما استطعت- ما أوردته من علوم وفنون، مع عدم التوقف طويلاً عند تفصيلاتها ومسائلها؛ وذلك لأني أريد من كتابي هذا أن يكون -إن شاء الله تعالى- مرجعاً موجزاً لمن يريد تحصيل الثقافة، لا أن يتحدث بالتفصيل عن العلوم والفنون التي لها مكان آخر معلوم.

ثم إني أردت من الكتاب أن يكون موجزاً، قليل الصفحات ما أمكنني ذلك؛ لأني أومن إيماناً تاماً بأن هذا الجيل لا يكاد يقرأ منه إلا القليل، وأنه -في عمومه- ليس معنيّاً ولا مريداً للجوانب النظرية

التفصيلية التي تجلب له السَأَم والملل وتصرفه عن القراءة، إنما الإيجاز والولوج إلى المراد سريعاً هو أسهل عليه، وأنفع له، وأحسن لحاله، في ضوء رغبة عقلاء الأمة من علماءَ ومشايخَ ودعاةٍ ومثقفين ومفكرين أن يُحَسِّنوا لهذا الجيل القراءة، ويزينوا له العكوف عليها والاغتراف منها، والله المستعان.

بشرى جليلة:

قبل أن ألج إلى هذا المبحث الشائك لابد من بشرى أبشر بها إخواني وأخواتي ألا وهي أن الإسلام قادم للسيادة والتمكين مرة أخرى -إن شاء الله تعالى- وأن هذا القرن هو قرن الإسلام، إن شاء الله تعالى، وأن الثقافة الإسلامية قد مُهّد لريادتها وسيادتها في بلاد الإسلام منذ ابتداء الصحوة المباركة قبل أربعين سنة تقريباً، وهذا له حديث طويل وتفصيل جليل، وأخبار فاخرة، وقصص بكل عجيب زاخرة،

ليس هذا مكانه، وأُعده على مهل لأخرجه للناس -إن شاء الله تعالى- بعد حين.

لكن ليس أدلَّ على انتشار الثقافة الإسلامية في الناس من إقبالهم الجليل على الاستمساك بالإسلام والاستضاءة بثقافته، واسألوا دور النشر والمكتبات عن أكثر الكتب بيعاً وتداولاً فسيجيبونكم بأنها الكتب المتعلقة بالثقافة الإسلامية على اختلاف شُعَبها وجوانبها بل لا مقارنة بينها وبين غيرها من مبيعات الكتب التي تروج لثقافات أخرى لم يعد لها مكان في بلاد الإسلام ولله الحمد والمنة، وذهبت أدراج الرياح، وصارت أثراً بعد عين، والغلبة اليوم للإسلام وثقافته وأهله، شاء من شاء وأبى من أبى، والله أكبر ولله الحمد.

وإنما بشرت بهذه البشارة لأخفف على القراء بعض ما سيجدونه عند قراءة بعض مباحث هذا الكتاب، ولأنفي عنهم بعض

اليأس الذي ربما يصيبهم عند الاطلاع على بعض ما سقته ها هنا وذكرته، والله الموفق.

وكتبه

محمد بن موسى الشريف

البريد الالكتروني mmalshareef@hotmail.com

الموقع على الشبكة www.altareekh.com

المبحث الأول: تعريف الثقافة وتاريخها

ـــ الثقافة كلمة عربية قديمة، ضاربة بجذورها في تراث العرب، لكنها لم تستخدم كمصطلح في دلالته الحالية إلا في العصر الحديث(١)، لكن لا يعني هذا أن المجتمع العربي المسلم لم يكن مثقفاً في الجملة بل كان أرقى المجتمعات في الأرض قروناً عديدة، وكانت الكتب تصنف في معارفَ وفنونٍ وعلوم شتى، بل إنه ما من علم من العلوم المعلومة آنذاك، ولا فن من الفنون المذكورة، إلا وقد كان للعرب والمسلمين منها أوفر الحظ والنصيب، وقد كثرت المؤلفات الإسلامية كثرة لافتة للنظر، حتى أن المطبوع اليوم ليس إلا جزءاً يسيراً من التركة الإسلامية الرائعة.

---

(١) وذلك عقب استخدام الغرب لها، وكان ذلك في سنة ١٨٠٥ في بريطانيا، وفي فرنسا كان استخدام هذا المصطلح في القرن الثامن عشر على يد فولتير وأقرانه، وفي ألمانيا في القرن التاسع عشر على يد المؤرخ والعالم الاجتماعي الألماني cuslav-klemm الذي ضبط استعمال المصطلح على وجه يقرب من استعماله الحديث، وهو مؤسس علم "الانثروبولوجيا" الحديث: أي العلم الذي يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته: انظر "لمحات في الثقافة الإسلامية": ٢٩-٣٠.

ولقد جمعني مجلس عزيز بالأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحلو -رحمه الله تعالى- وهو إمام من أئمة تحقيق التراث والعناية به، وكان ذلك في سنة ١٤٠٧/١٩٨٧ تقريباً، فكان مما قاله آنذاك إن التراث العربي الإسلامي لم يطبع منه -في تقديره- منذ بدأت المطابع تعمل في العالم الإسلامي إلى ذلك الزمان الذي حدثنا فيه بهذا إلا خمسة بالمائة فقط، وحسبك بهذا التقدير من ذلك الخبير، رحمه الله تعالى.

فإذا قيل بأن حركة النشر نشطت بعد ذلك وعمت كثيراً من بلاد العالم الإسلامي فيما تلى تاريخ اجتماعنا ذلك فلتضف نسبة خمسة بالمائة أخرى على أكثر تقدير ليكون مجموع ما نشر من التراث هو عشرة بالمائة فقط إلى يومنا هذا -تقديرا وتقريباً- وهذا يدل على أن المكتبة الإسلامية غنية جداً إلى الحد الذي يفوق التصور، وهذا يدل -أيضاً- على أن المجتمع الإسلامي كان -في الجملة- مثقفاً يَقبل التأليف ويُقبل عليه.

فليست -إذن- الثقافة غريبةً على المجتمع الإسلامي لكن المصطلح -في دلالته الحالية- لم يُستعمل إلا في هذا العصر.

لكن المسلمين قد تراجعوا كثيراً في القرون الأربعة الأخيرة حتى كان مما تراجعوا فيه الثقافة الواسعة التي تميزوا بها في الألف سنة التي سادوا بها الدنيا، وتراجع التأليف كماً وكيفاً، هذا في الوقت الذي كانت فيه أوروبا قد بدأت نهضتها التي بلغت الغاية العظمى يوم وصل التدهور بالمسلمين إلى الدرك الأسفل!!

تعريف الثقافة لغة:

وقد استخدمت العرب مصطلح الثقافة والتثقيف قديماً في معانٍ ليست بعيدة عن المصطلح المستخدم في هذه الأيام، فالثقافة تدور - استعمالاتها- في المعاجم العربية على الحِذْق والمهارة وجودة الفهم، والضبط، والقيام بالشيء، والفطنة، والإدراك(١)، كما في قوله تعالى:

---

(١) وانظر "لسان العرب": ث ق ف، و "تاج العروس": ث ق ف.

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾[١] والعلاقة بين هذه المعاني المستعمل فيها مصطلح التثقيف والثقافة وبين الثقافة بمعناها الاصطلاحي -كما سيأتي تعريفه- اليوم ظاهرة، "فالإنسان لا يكون واسع الاطلاع، ملماً بمختلف العلوم إلا إذا كان حاذقاً جيد الفهم"[٢].

وأستطيع أن أقول إن الثقافة بمعناها اللغوي الوارد في معاجم العربية هي كالآلة المساعدة للوصول إلى الثقافة بمعناها الاصطلاحي المعروف اليوم.

تعريف الثقافة اصطلاحاً:

قد كثر الحديث عن الثقافة وتعريفاتها وتقسيماتها كثرة أدت إلى الغموض في شأنها وعدم الخروج بتعريف واضح متفق عليه لها.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٢) "نحو ثقافة إسلامية أصيلة": ١٨.

هذا وقد أحصت بعض الدراسات ما يزيد على مائة وخمسين تعريفاً للثقافة، وهذا عدد ضخم يدل على الاختلاف في شأنها اختلافاً بيناً، ويدل أيضاً على أهميتها؛ فإن الأمر إذا كثرت فيه الدراسات وتعددت تعاريفه وتنوع القول فيه فإن هذا دال على أهميته، بلا ريب.

ومن التعاريف المختارة للثقافة ما يلي:

١. هي جملة أنماط من السلوك المشترك السائد في مجتمع معين سواء أكانت معنوية أم مادية، وتضم أنماط العيش من منكح ومأكل ومشرب وملبس وعادات وتقاليد، وتضم -وهو الأهم- جوانب تتصل بالعقيدة واللغة والفكر والتشريع والآداب والعلوم والفنون.[١]

وهو تعريف صحيح إلا أنه مختلط مُفَرَّق، ويجعل العقيدة جزءاً من الثقافة، وهي الأصل لا الجزء، سواء أكانت عقيدة سليمة أم باطلة.

---

(١) "مدخل إلى الثقافة الإسلامية": ١١، بتصرف.

٢. هي مجموعة من المعارف التي تسهم في تكوين الرؤية للإنسان، وتؤدي إلى صياغة معالم شخصيته الذاتية وأفكاره وقيمه وسلوكياته.[١]

وهو معنى ناقص لأنه أغفل قضية أثر العقيدة في الثقافة.

٣. هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحِذْق فيها[٢].

وهو تعريف ناقص، وهو أشبه بالمعنى اللغوي منه بالاصطلاحي.

٤. الثقافة هي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، وهي تشمل الفنون والآداب، وطرائق الحياة والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات.[٣]

وهو تعريف غير دقيق لأنه يجعل العقيدة جزءاً من الثقافة وهي الأصل لا الجزء، كما سبق ذكره في التعليق على التعريف الأول.

---

(١) المصدر السابق: ١٥، بتصرف.

(٢) "المعجم الوسيط" : حذق.

(٣) هذا تعريف منظمة اليونسكو، وأخذته من كتاب "الثقافة الإسلامية" المستوى الأول: ٨.

٥. "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع"[١].

وهذا التعريف فيه ما في التعريف السابق.

٦. الثقافة هي حالة تفاعل بين عوامل كثيرة أهمها: القانون، والسياسة، والصناعة، والتجارة، والعلوم، والتكنولوجيا، وشتى فنون التعبير والاتصال والأخلاق.[٢]

وهذا التعريف لا بأس به إلا في إغفاله ذكر الدين تماماً.

وقد تنبه لقضية علاقة الثقافة بالدين بعض الغربيين مثل إليوت الذي قال: إن الثقافة ليست إلا تجسيماً للدين، ورد بذلك على أرنولد

(١) هذا تعريف تيلور، وانظر "لمحات في الثقافة الإسلامية": ٣٢.

(٢) هذا تعريف جون ديوي، وهو أحد رجال التربية الغربيين المعاصرين، ونقلته من كتاب الأستاذ أحمد محمد جمال: "محاضرات في الثقافة الإسلامية": ١١.

الذي عد الثقافة جزءاً من الدين[١]، وهذا منهم إنما هو على فهمهم الجزئي للدين فكيف بالمفهوم الشامل للدين عند المسلمين، فلا شك إذن أن الدين سيهيمن على الثقافة الإسلامية هيمنة كلية.

٧. والتعريف المختار للثقافة هو:

الثقافة هي مجموع مركب من جملة أمور معنوية ومادية، مصبوغة بصبغة معينة، توجه السلوك البشري في مجتمع ما، فالمعنويات مثل الفكر والتشريعات والأنظمة والأدب والفن واللغة، والماديات مثل أنماط العيش وطرائقه من منكح ومأكل وملبس وترفيه وعادات وتقاليد.

والصبغة التي تصبغ بها هذه الأمور المعنوية والمادية هي التي تحكم على ثقافة مجتمع ما بحكم معين، فالثقافة إذا اصطبغت بالإسلام

(١) "لمحات في الثقافة الإسلامية": ٣٢-٣٣.

صارت ثقافة إسلامية تستمد تصوراتها وقيمها وأنظمتها من الإسلام وهو المهيمن عليها والموجه لها.

وإن تلونت بالعلمانية صارت ثقافة علمانية.

ثم إن هذه الأخيرة تنقسم إلى ثقافات أخرى بحسب سيطرة القوى المختلفة على هذا العالم، فالثقافة الأمريكية -على سبيل المثال- هي ثقافة علمانية لا شأن لها بالدين -في الجملة ونظرياً، وإن كانت بعض سياسات القوم تخالف هذا- ثم هي ثقافة موسومة بأنها أمريكية، ولها اليوم انتشار كبير في الأرض تبعاً لقوة حكومة أمريكا وسيطرتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والفنية على معظم أجزاء العالم اليوم.

ـــ ثم لأمثل بمثال يوضح ما أريد في تعريف الثقافة وأثرها على السلوك الإنساني:

ــ نستطيع أن نقول إن الحجاب للمرأة هو جزء من ثقافة المجتمع المسلم، بينما العري هو جزء من جُلّ الثقافات المعاصرة الأخرى.

ــ ونقول إن من ثقافة المجتمع المسلم الترابط الأسري ومراعاة كبار السن، بينما عكس ذلك تقريباً هو الواقع في الثقافة الغربية.

ــ ونقول إن من ثقافة المجتمع في باب الفنون ألاّ تعمل التماثيل للأشخاص، بينما هذه ثقافة سائدة في المجتمعات الأخرى.

ــ ونقول إن التشريعات والنظم في المجتمعات الإسلامية ينبغي أن يكون مردها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا جزء من ثقافة المجتمع المسلم، بينما ثقافة المجتمعات الغربية في باب القوانين هي العلمانية اللادينية، وهكذا...

ـــ وإذا كان هذا هو تعريف الثقافة المختار فالمثقف -إذن- شخص واسع المعرفة في جوانبها الكثيرة الدينية منها والدنيوية، وهذه السعة نسبية، بمعنى أنها درجات بين الحدين الأدنى والأعلى، فليس المثقفون على درجة واحدة من المعرفة والاطلاع؛ ففوق كل ذي علم عليم، وكذلك للبيئة والاستعداد الشخصي أثر لا ينكر في تكوين المثقف ودرجة ثقافته.

ـــ ولابد من الإشارة إلى أمرين في هذا الشأن:

الأول: "قد تستخدم كلمة ثقافة لتمييز ميادين ذهنية ومادية مختلفة فيقال: ثقافة اقتصادية وثقافة بدنية" إلخ ...[١]

الآخر: هناك جوانب من الثقافة لابد من الاستمساك بها والعض عليها بالنواجذ وهي المتعلقة بالدين والشرع والفكر المتعلق بهما وطرائق السلوك والعادات الحميدة، وهناك جوانب يمكن النظر في

(١) "من أجل انطلاقة حضارية شاملة": ٢/١٢٤، وقد نقل عن "اغتيال العقل": ٨٢.

الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى فيها مثل العادات والتقاليد الجيدة، ومثل بعض طرائق العيش والسلوك وأنماط التفكير، فلا يُساوى بين هذه وتلك في النظر والاستمساك والمحافظة:

"لا ينبغي أن نتصلب حيال ما يؤدي إلى تغيير ما يمس حدوديات الثقافة وعناصرها الرخوة، وننشغل بذلك عما يستوجبه الدفع عن عُمُد الثقافة وقيمها الكبرى وصونها عن التبدل والانهيار".(١)

العلاقة بين الثقافة والحضارة:

الحضارة هي مدى تغلغل التقنية والمخترعات والعمران والمعامل والمصانع والمختبرات في مجتمع ما، ومدى تفاعل أفراده مع هذه الأمور المذكورة، وهذه الحضارة مؤدية إلى الرفاهية في العيش.

وهي تقابل البداوة، وهي العيش في البادية، بكل جفائها وقسوتها وشدتها.

---

(١) المصدر السابق.

وهناك "طائفة تعتبر الثقافة هي الحضارة في مجموعها؛ لأن الثقافة لا يمكن أن تتجلى إلا في إطار حضاري، كما أن الحضارة لا يمكن أن توجد إلا باعتبارها إنجازاً ثقافياً، فالمفهومان معاً وجهان للعملة الواحدة"(١).

وقد قيل إن الحضارة أعم من الثقافة، أي أن الثقافة جزء من الحضارة، لكني أميل إلى أن الحضارة جزء من ثقافة المجتمع، وذلك حسَب التعاريف التي أوردتها للثقافة آنفاً، وحسَب ما استقر أخيراً في أوساط كثير من المثقفين أن الحضارة تتعلق بالأمور المادية، والثقافة بالأمور المعنوية كالتشريعات والأنظمة والجوانب الفكرية والروحية، وعادات الشعوب وتقاليدها، وبمعنى آخر إن الثقافة هي الجانب المعنوي للحضارة، أي أنها تمثل القيم والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة، ويظهر بهذا أن الحضارة تُعَدّ في بعض جوانبها جزءاً من

(١) "الثقافة من المنظور الإسلامي" ١٩٠.

الثقافة، وفي بعض جوانبها الأخرى مكملة للثقافة في تناولها للمجتمعات[(١)].

ومن أمثل التفريقات بين الحضارة والثقافة ما ذكره الأستاذ علي عزت بيجوفيتش رحمه الله تعالى حيث فرق قائلاً:

"الحضارة استمرار للتقدم التقني المادي، والثقافة استمرار للتقدم الإنساني.

الحضارة تقدم في الوسائل، والثقافة تقدم مستمر للذات.

العلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي للحضارة.

---

(١) ذهب بعض الباحثين إلى جواز إطلاق الحضارة على الثقافة، وجواز العكس أيضاً، أي أن مصطلحي الحضارة والثقافة يدلان على مفاهيم واحدة، وقال: "لا ينبغي أن نقيم من حيث الإطلاق العام حاجزاً بينهما، وإن كان يقبل -في إطار البحث في المصطلحات- الإشارة إلى ما بين هاتين الكلمتين من فروق"، وبعض الباحثين رأى أن الحضارة أعم من الثقافة، وانظر في هذا كله "لمحات في الثقافة الإسلامية": ٤٢-٤٩.

هذا وإني أميل لما قررته آنفاً في المتن وهو أن الحضارة تعد في بعض جوانبها جزءاً من الثقافة، وفي بعض جوانبها الأخرى تعد مكملة للثقافة، والله أعلم.

الدين والقيم والفكر والأدب هي مكونات الثقافة"[١].

ـــ ومشكلة الحضارة -اليوم- أنها موصولة بوجه أو بآخر بالنواتج المادية للمجتمعات الغربية، وإن كانت بعض المجتمعات الشرقية قد شاركت في هذا الباب في الآونة الأخيرة، وهذا يلقي ببعض الظلال الكثيفة على المجتمع الإسلامي في مسألة التأثر بهذه الحضارة وانجرار هذا التأثر إلى أن يُمزج بالثقافة، وبمعنى آخر إن البريق الحضاري المادي للمجتمعات الكافرة قد يخلط المفاهيم في شأن العلاقة بين الحضارة والثقافة بحيث يتأثر بالحضارة المادية لتلك المجتمعات تأثيراً سيئاً جماعاتٌ من المسلمين غير الواعين أو غير المثقفين بالثقافة الإسلامية الجيدة[٢].

هذا وقد قال طه حسين -الذي عُمِّد زوراً وبهتاناً في مصر فسُمي عميد الأدب العربي- مبيناً طريق اللحاق بحضارة أوروبا المادية

(١) " الإسلام بين الشرق والغرب" نقلاً عن "الثقافة الإسلامية" المستوى الأول: ١٢.

(٢) سآتي على ذكر هذا في مباحث قادمة أذكر فيها الغزو الفكري والانبهار الحضاري.

وأنه لا يكون إلا بأخذها كلها "خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب"[١].

وهذا خلط واضح بين الحضارة والثقافة، لأنه لا بأس بقبول الأول لأنه أمر مادي تجريبي علمي محض، لكن لا يقبل من الثقافة إلا ما كان نافعاً مفيداً.

وما حصل من انبهار من بعض المبتعثين بحضارة الغرب وازدرائهم للمسلمين -وربما للإسلام- زمن الاحتكاك بأوروبا في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إن ما حصل آنذاك هو مثال آخر على الخلط بين الحضارة والثقافة، فإن أولئك المبتعثين إلى الدول الغربية -خاصة فرنسا- بُهروا بما رأوا من حضارة مادية ومخترعات ومكتشفات، وخلطوا بين ذلك وبين طرائق القوم في عيشهم فأحبوا

(١) "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام": ٨٥، وقد نقل عن كتاب لطه حسين اسمه: "مستقبل الثقافة في مصر".

كل ما عند هؤلاء، ورأوا أن الأخذ بكل ذلك مجتمعاً هو الطريق إلى إدراك القوم وردم الهوة بيننا وبينهم!!

العلاقة بين الثقافة والعلم:

قد قيل في العلم تعريفات كثيرة، لكن أمثلها -في نظري- هو: معرفة الشيء على ما هو عليه.

ويطلق ويراد به الإدراك، فقيل: هو إدراك المسائل عن دليل[١].

وله تعلق بالأمور الطبيعية المادية التطبيقية، وتعلق بالأمور المعنوية.

أما الأول فمثل الكيمياء والفيزياء والأحياء والرياضيات وعلم الفلك، وعلم طبقات الأرض، والجيوغرافيا إلى آخر هذه التقاسيم، فليس بالضرورة أن يكون العالم بهذه الأمور مثقفاً، وهذا مشاهد

(١) "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي: ٣/١٠٥٥.

معلوم، وإذا نُظر إلى تعريف الثقافة السابق إيراده عُرف أنه ليست هناك علاقة بين الثقافة وهذه العلوم في جوانبها التطبيقية، إذ إن هذه العلوم إرث مشترك بين الشعوب، وهي -أي تلك العلوم- ألصق بالحضارة منها بالثقافة.

أما العلوم التي تتعلق بالفكر والنظر مثل علم الشريعة، وعلم التاريخ، وعلم السياسة، وعلوم الآداب والحقوق إلى آخر هذه التقاسيم فإن لها تعلقاً واضحاً بالثقافة، بل تكاد تكون جزءاً من التكوين الثقافي للمرء، كما سبق في تعريف الثقافة آنفاً.

فالثقافة -إذن- أعم من العلم، وأوسع تناولاً.

وقد قيل في تعريف الثقافة والتفريق بينها وبين العلم:

"العلم أن تعرف كل شيء عن شيء، والثقافة أن تعرف شيئاً عن كل شيء"[(١)]

---

(١) "نحو ثقافة إسلامية أصيلة": ١٨.

ولا ريب أن هذا لا يصلح أن يُعرف به العلم ولا الثقافة، لكنها جملة مقربة لمعنى الثقافة والفرق بينها وبين العلم.

ثم لا ريب أن هذه الكلية المشار إليها آنفاً هي ليست على إطلاقها؛ إذ ليس لأحد قوة ولا طاقة للإحاطة بكل شيء، وإنما هذا لله تعالى فقط، أما البشر فمحدودو القدرة والطاقة، وليس لهم إلى هذه الإحاطة سبيل، والمقصود بالكلية ها هنا: "أن تعرف كل شيء" وبـــ "أن تعرف شيئاً عن كل شيء" كثرة المعرفة وثراؤها وليس المقصود بها الإحاطة التامة.

ثم إن العلوم والفنون تفرعت في هذا العصر تفرعاً عجيباً، حتى صارت تعد بالآلاف، ثم تفرعت عنها فروع أدق حتى تعذر عد فروع تلك العلوم، واليوم فإن المتصدي لتعلم علم ما يقضي سنوات من عمره ليتعلم، ثم إن أراد أن يبرز فيه ويمهر فإنه يقضي سنوات أخرى طويلة في طلب ذلك، ثم ربما كان هناك حاجة إلى بضع سنوات أخرى ليتخصص فيه التخصص الدقيق، ثم لابد له أن يظل قارئاً في جديد علمه هذا حتى

يلقى الله؛ إن أراد أن يظل ماهراً مجيداً، فكم يحتاج المرء ليعرف شيئاً عن كل شيء أي عن كل العلوم والفنون؟ لا ريب أن هذا متعذر.

وقد أتى على الناس زمان كان العالم الماهر فيه يلقب بالإمام المفسر، المحدث، الفقيه، اللغوي، الأصولي، النظّار، البحّاثة، المؤرخ، إلى غير ذلك من الألقاب، وربما مهر أيضاً في الطب والجراحة مثل الإمام ابن القيم الذي جُمعت له كل تلك الأوصاف السابقة بل أكثر**!!** بينما لا يتحمل هذا العصر مثل ذلك الجمع للألقاب والأوصاف، وصار المختص بعلم الحديث يقضي سنوات طوالاً حتى يمهر فيه ويعد مرجعاً "دكتوراً" بل كم رأى الناس "دكتوراً" في علوم القرآن لا يكاد يفقه شيئاً في الفقه والأصول، وكم رأوا "دكتوراً" في اللغة لا يكاد يفقه شيئاً في علوم الشريعة، وكم رأوا دكتوراً في علم من علوم الشريعة لا يكاد يفقه شيئاً من علوم الطبيعة والعلوم الدنيوية الأخرى، فلذلك كله لا يستطاع اليوم أن يعرف المرء شيئاً عن كل شيء، ولا يمكن هذا في ظني، والله تعالى أعلم.

"وأهم ما يميز المثقف عن المتعلم -الذي قد يكون حائزاً على أعلى شهادة في تخصصه- امتلاكه الجيد للرؤية الشاملة للمجتمع الذي يعيش فيه ... وهو إلى جانب ذلك على وعي بالتناقضات التي تحكم مسيرة ذلك المجتمع، وعلى وعي بمآلات وأخطار التغيرات البطيئة التي تزحف على أفكاره وأخلاقياته وسلوكاته.

هذا الوعي الشامل هو الذي يمنح المثقف سمة الريادة في المجتمع ويحمله مسؤوليتها في آن واحد"(١).

ــ والعالم الضعيف في الثقافة العامة معرض للخطأ والوهم أكثر من العالم الواسع الثقافة، والله أعلم.

---

(١) "من أجل انطلاقة حضارية شاملة": للدكتور عبدالكريم بكار ٢/١٣٣-١٣٤.



المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية: تعريفها، تاريخها، أهميتها وأثرها

قد تحدث كثير من المصنفين عن الثقافة الإسلامية، ما بين موجز ومُطنب، وليس من غرضي هاهنا إعادة ما قيل إنما هو التعريج فقط على بعض القضايا المهمة التي بها صلة بموضوع الكتاب.

تعريف مصطلح الثقافة الإسلامية:

هناك عدة تعريفات لمصطلح الثقافة الإسلامية بُنيت على تعريف الثقافة نفسها الذي سقته آنفاً، فمن ذلك:

أ. "هي طريقة الحياة التي يحياها المسلمون في جميع مجالات حياتهم وفقاً للإسلام وتصوراته"[١] وهو تعريف موجز لا بأس به، فيما أرى، إلا في اختلاط الثقافة بالحضارة في طرائق العيش التي يعيش بها المسلم.

---

(١) مجلة "الجندي المسلم" مقالة صفاء الدين محمد أحمد نقلاً عن "الموسوعة الإخوانية" في شبكة المعلومات.

ب. هي مجموعة الصفات والخصائص النفسية والعقلية والفكرية والخلقية والسلوكية التي تتميز بها الشخصية الإسلامية، المكتسبة من معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، ومقومات الدين الإسلامي، والمستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، واجتهادات العلماء والمفكرين، والمتفاعلة مع واقعنا المعاصر تأثيراً وتأثراً.[١]

وهذا تعريف شامل لكنه طويل، وهو إلى الشرح أقرب منه إلى التعريف.

ج. هي الصورة الحية للأمة الإسلامية[٢]، وهذا التعريف فيه غموض وتعميم، وأقرب التعريفات المذكورة -في ظني، والله أعلم- هو التعريف الثاني ثم الأول.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

تاريخ مصطلح الثقافة الإسلامية:

إن العصر الحديث هو الوقت الذي برز فيه مصطلح الثقافة -كما ذكرت من قبل- وأما مصطلح الثقافة الإسلامية فقد ظهر في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي لكني لا أعرف متى ظهر على وجه التحديد، وكتب في الثقافة الإسلامية مفكرون ومثقفون وعلماء كتابات عديدة[١]، وباتت الثقافة الإسلامية -ولله الحمد والمنة- مطلباً مهماً ينادي به العلماء والدعاة والمفكرون، ويتنادون لجعل مادتها منهجاً مقرراً، ومرجعاً مقدماً لكل طالب وداعية ومفكر، وهذا حصل بعد غياب طويل لهذه الثقافة -بل تغييب طويل لها عن قصد وعمد- وإبعادها عن أن تكون ثقافة للأجيال، فقد ظلت أكثر البلاد

(١) منها: "نحو ثقافة إسلامية أصيلة" للدكتور عمر الأشقر، ومنها "ملامح في الثقافة الإسلامية" و"معالم في الثقافة الإسلامية" كلاهما للدكتور عمر عودة الخطيب، ومنها "ثقافة الداعية" للدكتور يوسف القرضاوي، ومنها "مدخل إلى الثقافة الإسلامية" للدكتور مصدق حسن، ومنها كتاب في الثقافة الإسلامية للأستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله تعالى، ومنها كتاب "مدخل إلى الثقافة الإسلامية" للدكتور عبدالرحمن الزنيدي، ومنها سلسلة كتب الثقافة الإسلامية الموضوعة للتدريس في الجامعات.

الإسلامية ترزح تحت ثقافات شرقية وغربية، وفي عماية شبه كاملة عن الثقافة الإسلامية.

وقد كان هناك "عمليات منظمة -صاحبها استعداد عند ذراري المسلمين للسماع- أُريد بها تحطيم كل جوانب الثقافة الإسلامية، حتى أن الإنسان ليرى أن كل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية يتولى أمر تحطيمه مجموعات في قلب الأقطار الإسلامية، فالتاريخ الإسلامي تجد من يحاول إبرازه بصورة تخدم أعداء الإسلام المتعددين، واللغة العربية تجد من يدعو إلى إحداث تطوير فيها، أو تغيير يؤدي إلى قتل الثقافة الإسلامية، والسنة تجد من يتبنى تهديمها والتشكيك فيها، والفقه الإسلامي تجد من يتبنى إبعاده والتشكيك في قيمته، والقرآن تجد من يطعن عليه ...

وتجد الدوائر التي تحاول تشويه كل اسم يعمل للإسلام أو إخماده وإخفات صوته ...

واستطاع أعداء الإسلام هؤلاء أن يصلوا إلى مراكز التعليم الرسمية فصاغوا قسماً كبيراً مما مر ببرامجَ ومناهجَ وكتب دراسية أصبحت دراستها مفروضة ... حتى أصبحت الثقافة الإسلامية مهزومة على أرضها"[١].

وهذا التجهيل سُلِّط على الأمة منذ بدء وطء المستخرب الكافر أرضها -منذ أربعة قرون تقريباً- إلى نهايات القرن الفائت حين برز ما يُعرف بالصحوة الإسلامية التي أنقذ الله بها المسلمين من تلك الضلالات فثاب كثير منهم إلى الرشد، وعادوا إلى دينهم، وكثرت الكتابات المعبرة عن الإسلام: عقيدة وشريعة وعبادة ونظاماً، وبرز من هذا كله ما يعرف بالثقافة الإسلامية التي استطاعت أن تضبط وجهة الجيل الجديد نحو الإسلام بغير إخلال بأمور دنياه:

---

(١) "جند الله ثقافة": ٥٨-٥٩.

"وبهذا المنهج وحده -دون سواه- لا يغيب الجيل الإسلامي اليوم عن معترك الحياة، ولا يحيا على هامشها، أو يسلم نفسه لتيارها تتخطفه مذاهبها، وتلفه أعاصيرها، وتفتك به أدواؤها، ويعبث بفكره وخلقه شياطينها، ويقذفون به في مهاوي الظلام بعيداً عن ينبوع الحياة الطيبة الكريمة: يتخبط في سيره، وينحرف في اتجاهه، ويجري مكدوداً مرهقاً في تيه طويل وشقاء مرير"[١].

ولذلك كله أخذت بعض الدول الإسلامية تنشئ طلابها وطالباتها منذ الصغر على دراسة الثقافة الإسلامية، على تفاوت في جودة الفهم والتطبيق لكنها بداية حسنة بعد انقطاع طويل وظلام دامس.

وكذلك جهد بعض المفكرين في إعداد كتب للثقافة الإسلامية صارت مناهج تُدرس في الحلقات والجامعات.

---

(١) "لمحات في الثقافة الإسلامية": ٢١.

ـــ وهذا الأستاذ محمد المبارك رحمه الله تعالى استطاع إدخال مادة نظام الإسلام في مناهج كلية الشريعة بدمشق منذ وقت مبكر، وهذه المادة جزء مهم من الثقافة الإسلامية.

ـــ ولقد أحسنت المملكة العربية السعودية صنعاً حين قررت الثقافة الإسلامية منهجاً إجبارياً لكل طلاب الجامعات مهما كان تخصصهم وقد بدأ هذا منذ ثمانينات القرن الهجري الماضي/ ستينات القرن الميلادي المنصرم.

وهذا أمر مهم جداً لطلاب الجامعة، فهم رجال المستقبل، وهم أصحاب المناصب والوظائف في المستقبل، وسيكون منهم من يختلط بأهل الديانات الأخرى والثقافات المتنوعة، وكلهم -تقريباً- سيتعرض للشبهات، وكلهم بحاجة إلى فقه دينهم ومعرفة واقعهم، فكان تقرير مادة الثقافة فتحاً من فتوحات القرن الماضي في زمن الصحوة ولله الحمد والمنة.

وفي جامعة الأزهر وأم القرى والخرطوم والإمام، والإيمان، والملك فهد للبترول والمعادن، وكثير من الجامعات الأخرى مقررات للثقافة الإسلامية.

بل هنالك قسم للثقافة الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض.

وعسى أن تحذو سائر الدول الإسلامية حذو المملكة وبعض الدول الإسلامية في تدريس مادة الثقافة الإسلامية وجعلها منهجاً إجبارياً لابد لطالب الجامعة منه مهما كان تخصصه.

ــ لكن لابد من القول إن تلقي الثقافة الإسلامية على هيئة مناهجَ إجبارية لابد أن يدرسها الطالب هو أمر حسن لكن لا مناص من توافر أمرين آخرين:

أ. الأستاذ القدوة الذي يدرس المادة للطلاب رابطاً لمفرداتها بواقعهم، متلمساً مشكلاتهم، محاولاً أن يكون قدوة عملية يرون من خلاله تطبيقاً حقيقياً لما يدرسه ويقوله.

ب. القناعة لدى الطلاب بألاتكون المادة مقرراً يحفظ للاختبار فقط لكن لتكون -أيضاً- معينة على فهم الإسلام فهماً صحيحاً، وفهم مجريات الأحداث من حولهم، وتكوين تصور واضح عن العلاقة بين الإسلام والحياة اليومية بكل شؤونها، ومن ثم محاولة الالتـــزام بالسلوك الصحيح المنبثق عن هذا الفهم وذلك التصور:

"إن الشباب العربي -في كل أقطارهم- لا ينقصهم العلم ولا الفهم؛ فحاجاتهم التعليمية والإعلامية والمكتبية متوفرة بين أيديهم وهم يتلقون المعرفة على مختلف فنونها واختصاصاتها صباح مساء في المدرسة والجامعة والإذاعة والتلفاز وفي المكتبة والنادي، وقد يحفظون عن ظهر قلب ألوف الصحائف من المقررات العلمية والأدبية والتاريخية، ولكنهم

لا يتفاعلون لها، ولا يستجيبون لتجاربها وأفكارها، ولا يتذوقون حلاوة المعرفة بها، وإنما يتعلمون ما يتعلمون، ويحفظون ما يحفظون للنجاح في الامتحان والالتحاق بمرحلة أعلى في الدراسة حتى يظفروا بالشهادة ثم يظفروا بالوظيفة، ولا علم بعد ذلك ولا عمل، أي لا ثقافة ..."[١]

خطوة جيدة في العناية بالثقافة الإسلامية:

هناك مؤسسة أنشئت من قِبَل منظمة المؤتمر الإسلامي وهي المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم "الإيسيسكو"، وهذه المؤسسة أداؤها -عندي- ضعيف؛ بحسب ما أراه وألمسه من أحوال التربية والثقافة والعلوم في العالم الإسلامي، لكنها قامت بعمل متميز جداً لو ضُبط بضوابط منهجية وعلمية و"فُعِّل" -إن صح التعبير- تفعيلاً جيداً ألا وهو برنامج "عاصمة الثقافة الإسلامية" حيث إن المنظمة قررت أن تختار كل سنة ثلاث عواصم إسلامية إحداها افريقية وثانيتها آسيوية

(١) "محاضرات في الثقافة الإسلامية" للأستاذ أحمد جمال: ١٣.

وثالثتها عربية لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية في تلك السنة، وقد عُقد المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة سنة ١٤٢٤/٢٠٠٤ في الجزائر واختيرت مكة عاصمة للثقافة الإسلامية سنة ١٤٢٥/٢٠٠٥ واختيرت بمفردها تكريماً لها وابتداءً للبرنامج، ثم في السنة التي تليها اختيرت حلب وأصفهان وتمبكتو بحيث تكون حلب عاصمة للثقافة الإسلامية مختارة من الدول العربية، وتمبكتو[١] من افريقيا، وأصفهان من آسيا، ثم في سنة ١٤٢٧/٢٠٠٧ اختيرت فاس وطرابلس الغرب وطشقند[٢]، وداكار[٣]، وسبب اختيار عاصمة رابعة هو أن البلد الذي ينعقد فيه المؤتمر الإسلامي لوزراء الثقافة كل سنتين يصبح تلقائياً عاصمة رابعة للثقافة الإسلامية، وفي سنة ١٤٢٨/٢٠٠٨ اختيرت الإسكندرية ولاهور

---

(١) في مالي.

(٢) في أوزبكستان وتسمى قديماً بلاد الشاش.

(٣) عاصمة السنغال.

وجيبوتي، وفي سنة ١٤٢٩/٢٠٠٩ اختيرت باكو[١] وكوالالمبور وانجامينا[٢] والقيروان باعتبارها مستضيفة للمؤتمر الذي يعقد كل سنتين -كما مر بيانه آنفاً- وفي سنة ١٤٣٠/٢٠١٠ اتفق على تَرِيم[٣] ودوشنبه[٤] وموروني[٥].

وهذا البرنامج جيد وموفق إن خلا من الاعتبارات والموانع السياسية خاصة في بعض البلدان التي يحارب فيها الإسلام، ووجدت برامج حقيقية تُعرف بالثقافة الإسلامية في وسائل الإعلام من جرائد ومجلات وإذاعة تلفاز وقنوات فضائية في ذلك البلد المختار، وإقامة

---

(١) عاصمة أذربيجان.

(٢) عاصمة تشاد.

(٣) في حضرموت.

(٤) عاصمة طاجيكستان.

(٥) عاصمة جزر القمر.

مهرجانات شعبية ومحاضرات ودروس كثيرة في أنحاء البلد المختار، والله الموفق.[١]

الثقافة الإسلامية نموذج صالح للاقتداء:

ـــ وأختم هذا المبحث بالقول إنه لمن المهمات الكبيرة، والأعمال الجليلة السعي لأن تكون لهذه الأمة ثقافتها المتفردة، والتي بها يكون لها شخصيتها المتميزة، والتحدي هو:

هل نستطيع أن نُصدر ثقافتنا الإسلامية للآخرين؟

وهل يمكن أن تكون لثقافتنا الإسلامية جاذبية تجذب الآخرين إليها وتقنعهم بها؟

(١) استقيت هذه المعلومات من جريدة "الحياة": ٢٠٠٩/٤/٤.
وقد نص المؤتمر الإسلامي لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر سنة ١٤٢٤/٢٠٠٤ على أن البرنامج يهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية، وتجديد مضامينها، وإنعاش رسالتها، وإلى تخليد الأمجاد الثقافية والحضارية لعدد من العواصم والاستفادة من ذلك في الارتقاء بالحاضر والمستقبل.

وهل يمكن أن نرى يوماً رابطة للدول التي تريد الثقافة الإسلامية، وتحبها، وتختارها دستوراً لثقافتها؟

إن الإنجليز صنعوا رابطة أسموها بـــ "الكومنولث"، وهي جامعة لكل الدول التي تتحدث الإنجليزية وبُليت باحتلال الإنجليز لها، وإن الفرنسيين أوجدوا رابطة سموها بـــ "الفرنكفونية" وهي جامعة الدول التي تتحدث الفرنسية وابتليت باحتلال فرنسا لها[١]، وهما رابطتان ثقافيتان لهما غرض سياسي وثقافي واقتصادي، فهل نرى يوماً رابطة للدول المحبة للثقافة الإسلامية والراغبة في الاستفادة منها والانضمام تحت لوائها؟!

هل نستطيع أن ننقذ العالم من تدهوره وانفلاته من القيم والمبادئ، وارتباطه التام بالملاذ والشهوات الحرام، هل نستطيع بحسن

---

(١) قد أحسنت الجزائر صنعاً برفضها الانضمام للرابطة الفرنكفوتية إلى الآن، ولله الحمد.

عرضنا لثقافتنا الإسلامية أن نقدم للعالم الهوية العظمى والمنة الكبرى، وننقذه مما هو فيه من تردٍ وانفلاتٍ في كل شيء؟!

لاشك أننا نستطيع ذلك -بإذن الله تعالى- إذا تمسكنا بثقافتنا، وأصررنا عليها، وجعلناها نموذجاً قابلاً للانتشار والقبول في العالم.

وهذا ليس كلاماً نظرياً مرسلاً، لا بل قد حدث قبل هذا فيمكن تكرار حدوثه، وذلك عندما فتح العرب المسلمون مصر والشام والعراق والمغرب وغيرها فدخل الناس في دين الله أفواجاً، أفكان ذلك عن إكراه وإجبار؟ معاذ الله بل عن رضىً وحب، وإعجاب بعقيدة الفاتحين وثقافتهم وأخلاقهم، وليس هناك رواية صحيحة تذكر أن المسلمين أكرهوا أحداً بعد الفتح على الدخول في دينهم بل هو الإعجاب والحب والمتابعة والرضى، ودليل ذلك تحول الملايين من أهل تلك البلاد إلى الإسلام في سرعة عجيبة إذا قورن ذلك بأحداث التاريخ البشري وسننه وقوانينه.

والعجيب أن مَن لم يرض الإسلام ديناً من شعوب تلك الدول المفتوحة قد رضيه ثقافة، حيث أقبلت تلك الشعوب على اللغة العربية وتركت لغاها، فأين الفينيقية والآشورية والكلدانية والقبطية اليوم؟ قد تركها أهلها وفضلوا عليها العربية سواء منهم من أسلم أو من اختار البقاء على دينه، وأقبلوا على طرائق الفاتحين في العيش فارتضوا أكثرها، وأقبلوا على سمتهم وهديهم فاختاره أكثرهم، وهذه المذكورات جزء أصيل من ثقافة أي مجتمع، وإنما ذكرت هذا ليعلم أن للثقافة الإسلامية جاذبية لا تقاوم، وأنها صالحة في كل زمان ومكان للتأثير والتغيير، وأن لها مكان الريادة فهي تقود ولا تقاد، ولا عجب فالأصل الإلهي الصحيح لهذه الثقافة هو الذي مكنها من ذلك، وبوأها المكانة اللائقة بها.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام لما ولجت دعوته إلى الشعوب: قلوبها وعقولها لم يدمر ثقافة الآخرين و لم يجبرهم على تغييرها بل أبدع المسلمون الفاتحون في مزج النافع من ثقافات الشعوب مع ثقافتهم

الأصيلة، قال الأستاذ محمد الكتاني: "انضوت شعوب مختلفة في الإسلام عبر تاريخ طويل، وأسهمت بكل ما لها من إبداع وفكر وإنتاج في حضارة الإسلام وثقافته، من غير أن تضار خصائصها القومية ولا ثقافتها الوطنية التي تجلت في أشكال وإبداعات عكست روح الثقافة الإسلامية من ناحية، وطبيعة البيئة التي نبتت فيها من ناحية أخرى؛ فالقرآن لم ينشيء أمة العرق والسلالة وإنما أنشأ أمة العقيدة، ولذلك أنشأ ثقافة تتطابق مع هذه الوَحدة العقدية من ناحية، و لم يقف في وجه أي ثقافة وطنية أو قومية داخل البلاد التي انضوت تحت الإسلام من الصين إلى المغرب من ناحية أخرى؛ إذ ظل للثقافة الإسلامية الكبرى إطارها الاعتقادي والفقهي والأخلاقي الجامع بين المسلمين، بينما احتفظت الثقافات الوطنية بلغاتها وآدابها وفنونها وتقاليدها القومية مما لم يتناف مع الروح الإسلامية العامة"[١].

---

(١) "الثقافة من المنظور الإسلامي": ١٩٨-١٩٩.

وقال أحد الباحثين:

"يكاد المراقبون ينظرون إلى الثقافات الإسلامية اليوم على أنها أقدم الثقافات التي لا تزال موجودة في عالم اليوم دون تقلبات أو تغيرات حادة في مفاهيمها الأولى، ويرجع هذا بالطبع إلى سمو التعليمات الإسلامية التي تستمد وجودها من الخالق -جل وعلا- من خلال تشريع سماوي لم يقتصر على العبادات وإنما تكفل بتوجيه السلوك الإنساني في المعاملات والعادات ونمط الحياة اليومية على مستوى الفرد والمجتمع على نحو ما نعرف جميعاً"(١).

أما الثقافة الغربية القائدة اليوم فقد اتسمت "بالتدجيل في كل شيء، والتلبيس على الناس، وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وتمويه الحقائق، وإطلاق الأسماء البراقة الخلابة للعقول على غير مسمياتها، وبكثرة الاختلاف بين الظاهر والباطن، والأول والآخر، والنظريات

---

(١) "موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة": ١٨٣.

العلمية، والتجارب العملية، وهذا شأن الشعارات والفلسفات إذا حَلّت محل الأديان، وسحرت النفوس والعقول، والكلمات التي أحاطت بها هالات التقديس والتمجيد، وحَلّ حبها واحترامها في قرارة النفوس وحبات القلوب، وأصبح الشك في قدسها، أو النقاش في كرامتها ومكانتها علامة للرجعية، وإنكاراً للبداهة والمشهود المحسوس، وقد التبس الأمر بذلك على كبار الأذكياء ونوابغ العلماء فأصبحوا يتغنون بهذه الشعارات والفلسفات، ويدعون إليها في إيمان وحماسة من غير تمحيص لنية أصحابها وإخلاصهم، أو شجاعة في تحديد نجاحها أو إخفاقها في مجال العمل والتطبيق، والمقارنة الصحيحة بين ما كسبته الإنسانية والأمم الضعيفة وبين ما خسرته من سلطان هذه الشعارات وتحت رايتها من السعادة الحقيقية والحقوق الفطرية، وهذا كله من قوة التدجيل وسحره ...

وقد سرت هذه الروحية الدجلية المدلسة في هذه الحضارة لسيرها على خط معارض لخط النبوة، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالغيب، والإيمان بفاطر الكون وقدرته المطلقة، واحترام شريعته وتعاليمه، وللاعتماد الزائد على الحواس الظاهرة، والشغف الزائد بما يعود على الإنسان باللذة البدنية، والمنفعة العاجلة والغلبة الظاهرة"(١).

ـــ لكن البلية كل البلية أنا لا نجد مجتمعاً على ظهر الأرض تسوده الثقافة الإسلامية وتحكمه بضوابطها ومعالمها، وهذا مما زهد الآخرين في الأخذ بشيء لا يرونه بأبصارهم، ولا يرونه واقعاً في دنيا الناس، وإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا وقد اطلع بعض الكافرين على جزء من الثقافة الإسلامية فتأثر بها وأسلم، فكم منهم من قد أسلم لأنه رأى الاحترام العظيم يسود الأسرة المسلمة، وأنه كلما كبر الفرد فيها

---

(١) "الصراع بين الإيمان والمادية" للأستاذ أبي الحسن الندوي: ١٣، وقد نقلت ذلك من "لمحات من الثقافة الإسلامية": ٦٣-٦٤.

عظم احترامه وتقديره، وكم منهم من أسلم لأنه رأى العفة هي الأصل في المجتمعات الإسلامية، فهؤلاء قد أسلموا و لم يطلعوا إلا على جوانب محدودة من الثقافة الإسلامية فكيف لو عرضت عليهم بحذافيرها؟!

إن دهاقنة القوم الكافرين يدركون تمام الإدراك أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة صحيحة سليمة، قادرة على إزاحة ثقافتهم بسهولة، لذلك هم يقفون منها موقف العداء، ولا يريدونها أن تظهر -على هيئة تطبيقية- في أي مجتمع على ظهر الأرض لما لظهورها من بريق وجلال يغريان الآخرين باعتناقها واتباعها، ولقد ظهر لهم هذا جلياً فيمن أسلم من أقوامهم واستمسك واعتصم بهذه الثقافة الجليلة، ولذلك يعاديها أولئك الدهاقنة ويظهرون هذا العداء كلما استطاعوا إلى الإظهار سبيلاً، ومن عجيب ما قاله بعضهم(١)، وهو دال كل الدلالة على ما ذكرته آنفاً من التخوف والحذر وإرادة التميز:

(١) هو أيوجين روستو، رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس السابق جونسون لشؤون الشرق الأوسط إلى سنة ١٣٨٧/١٩٦٧.

"إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي: فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للشرق الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها"[١].

أثر الثقافة الإسلامية في غيرها من الثقافات:

قد كان للإسلام وعلومه وثقافته وحضارته جاذبية لا تقاوم، وأثر لا ينكر على العالم كله، ولست في هذا المبحث معنياً بسرد ذلك والتوسع فيه، فقد تكفلت بذلك كتب كثيرة، إنما أريد بيان الأثر الذي طبعه الإسلام بثقافته الجليلة في الآخرين، فمن ذلك:

---

(١) "مجلة الأمة القطرية" نقلاً عن "نحو ثقافة إسلامية أصيلة": ٦١.

١. النظام التشريعي في الإسلام:

قد عقد مؤتمران دوليان في لاهاي سنة ١٩٤٩، وباريس سنة ١٩٥١، بُحث فيهما بعض أحكام التشريع الإسلامي ونظرياته، وقرر المشاركون أن الشريعة الإسلامية مصدر خصب من مصادر التشريع العام -القانون المقارن- وأنها شريعة حية صالحة للتطور[١].

وقد اجتمع أساتذة القانون الدولي في جمعية ألفوها وأسندوا الرئاسة الشرفية للفقيه المشهور محمد بن الحسن الشيباني وسموا الجمعية باسمه، وقالوا إنه خليق أن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون العالميين[٢].

وفي مؤتمر باريس سنة ١٩٥١ وقف نقيب المحامين في باريس وقال:

(١) "الإسلام وأثره في الثقافة العالمية": ٧.

(٢) المصدر السابق: ١١٣-١١٤.

"أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يُحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلاحيته كأساس للتشريع يفي بحاجيات المجتمع العصري المتطور وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشتها مما يثبت خلاف ذلك تماماً"(١).

وقال عالم إنجليزي آخر هو الأستاذ "مار مادوك بيكتهول":

إن الثقافة الإسلامية تختلف عن غيرها من الثقافات في أنها لا يمكن أن تكون إطلاقاً هدف الفرد المثقف وغايته، لأن هدفهـــا -كما هو محدد بوضوح- ليس تهذيب الفرد أو الجماعة بل الجنس البشري بأكمله، وما من كمية من المؤلفات الأدبية أو الفنية في أيما بلد يمكن أن تعتبر المبرر لإسلاميته طالما بقيت فيه ذرة من الإثم أو الظلم أو التعصب، وما من انتصارات حربية أو سلمية بالغة ما بلغت من الروعة يمكن أن تذكر على أنها من حصاد الإسلام؛ ذلك أن للإسلام غايات أوسع،

(١) المصدر السابق: ١١٤.

ونظرات أجل وأعظم، وهو لا يهدف إلى ما هو أدنى من الأخوة الإنسانية، ومع ذلك فإن الإسلام كدين يشجع الإنسان على بذل جهده في سبيل تحسين ذاته وترقية الإنسانية عامة بأكثر مما يشجعه على ذلك أي دين آخر، وهو منذ أن أصبح دولة في العالم أعطى من النتائج الثقافية ما يمكن مقارنته بالنتائج التي أعطتها سائر الأديان والحضارات والفلسفات مجتمعة".

ثم قال:

"وأنا لا أعني بالثقافة الإسلامية تلك الثقافة التي يبلغها في أيّ وقت قوم يقرون بالإسلام مهما كانت مصادر هذه الثقافة، بل أعني بها ذلك الضرب من الثقافة التي يأمر بها الدين الذي جعل من التقدم الإنساني غايته الواضحة العلنية[١]".

---

(١) "معالم الحضارة الإسلامية": د.مصطفى الشكعة ص٣٦.

٢. اللغة العربية:

وقد كان لها جاذبية هائلة، ويكفي هذا النص المعبر الذي نقله المؤرخ دوزي في كتابه "الإسلام في الأندلس" عن كاتب إسباني:

"إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وانصرفوا إلى العربية، فدرسوا التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، وإنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات بأغلى الأثمان"[١].

ويقول جورج سارتون في كتابه "العلوم والعمران في العصور الوسطى":

"أصبحت اللغة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد -أي القرن الثاني الهجري- لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدن، وحملت لواء التقدم الصحيح، وحافظت على تفوقها واحتلالها مركز

---

(١) المصدر السابق: ٤٠.

الصدارة بين جميع الألسن الأخرى إلى آخر القرن الحادي عشر على أقل تقديـــر، وكان كل من يريد أن يطلع في القـــرن الحادي عشـــر -الخامس الهجري- على أفكار عصره يضطر إلى أن يتعلم اللغة العربية"[١].

ويقول العالم الإنجليزي روجر بيكون (ت ١٢٩٢م):

"إن الفلسفة مستمدة من العربية، وعلى هذا لا يستطيع الإنسان الأوروبي أن يفهم فلسفة العلم إلا إذا عرف اللغة التي نُقلت عنها".

ويقال إن تلاميذ روجر بيكون كانوا أحياناً يتهكمون عليه إذا أخطأ في ترجمة النصوص العربية إلى اللاتينية، مما يشير إلى أنهم كانوا يعرفون العربية، ويطالعون النص العربي، ويقارنون بينه وبين ما يقوله أستاذهم.

---

(١) المصدر السابق.

ويقول بريفولت:

"إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلوم العربية في جامعة أوكسفورد على أيدي أساتذة تتلمذوا بدورهم على أيدي أساتذة من عرب الأندلس، وهو لم يملّ قط من التصريح بأن تعلم اللغة العربية وعلم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة"[١].

ـ وقد بقيت كلمات من اللغة العربية في لغات الأوربيين شاهدة على التأثر الثقافي اللغوي الواضح، وهذه الكلمات كثيرة مشعبة قد داخلت كثيراً من ألفاظ العلوم والفنون، بل الألفاظ الشعبية المستخدمة في حاجات الحياة وضروراها، وعلى ذلك أمثلة كثيرة جداً.

ويقول "فيليب حتى" في كتابه "تاريخ العرب":

---

(١) المصدر السابق: ٤١.

"لم يسهم أي شعب من شعوب الأرض بقدر ما أسهم المسلمون في التقدم البشري، وظلت اللغة العربية لغة العلوم والآداب والتقدم الفكري قروناً متعددة في جميع أنحاء العالم المتمدن آنذاك، وكان من آثارها أيضاً أنه فيما بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلاديين فاق ما كتب بالعربية عن الفلسفة والطب والتاريخ والفلك والرياضيات والجغرافيا كل ما كتب بأي لسان آخر".

ويقول جورج سارتون في كتابه: "المدخل إلى تاريخ العلم":

"حقق المسلمون، عباقرة الشرق، أعظم المآثر في القرون الوسطى، فقد كتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالة وأغزرها مادة في تلك العصور باللغة العربية التي كانت من منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر لغة العلم للجنس البشري، والحق أنه كان ينبغي لأي كان، إذا أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها، أن يتعلم اللغة العربية، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها".

وقد كتب لونقبرييه (Longperier) سنة ١٨٤٦ بحثاً في استخدام الحروف العربية في الزخرفة لدى الشعوب المسيحية في الغرب.[١]

٣. علم التاريخ والاجتماع:

قال الأستاذ ج دي بوي الأستاذ بجامعة أمستردام:

"إن المؤرخين القدماء لم يورثونا التاريخ علماً من العلوم يقوم على أساس فلسفي[٢]، فمثلاً كانوا يعللون لعدم بلوغ الإنسانية منذ زمان بعيد درجة أعلى مما بلغته بالاستناد إلى حوادث أولية كالزلزال والطوفان ونحوها، ومن جهة أخرى كانت الفلسفة المسيحية تعتبر التاريخ بوقائعه تحقيقاً أو تمهيداً لمملكة الله على الأرض، ثم جاء ابن خلدون فكان أول من حاول أن يربط بين تطور الاجتماع الإنساني

(١) لبيب عبدالستار: الحضارات: ٢٨١ وما بعدها (ط. ٢ بيروت).

(٢) يقصد بالفلسفي -هنا- الفكري الأكاديمي.

وعلله القريبة، مع حسن الإدراك لمسائل البحث وتقديرها مؤيدة بالأدلة المقنعة، فقد نظر في أحوال الجنس والهواء ووجوه الكسب، وعرضها مع بيان تأثيرها في التكوين الجسمي والعقلي في الإنسان والمجتمع"[١].

وقال الأستاذ فارد الأميركي في كتاب "علم الاجتماع النظري":

"كانوا يظنون أن أول من قال وبشر بالحتمية في الحياة الاجتماعية هو مونتسكيو أو فيكو في حين أن ابن خلدون كان قد قال ذلك، وأظهر تبعية المجتمعات لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بمدة طويلة"[٢].

وقال أرنولد تويني في كتاب "دراسة في التاريخ":

---

(١) المصدر السابق: ٩٩.

(٢) المصدر السابق.

"ابن خلدون من العباقرة، وفي مقدمته دلائل ساطعة على سعة النظر، وعمق البحث، وقوة التفكير ... وهو في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور، وأنشأ فلسفة التاريخ، وهو بلاشك أعظم عمل من نوعه خَلّفه أي عقل في أي زمان ومكان"(١).

٤. وفي الأثر الثقافي العام:

يقول جوستاف لوبون:

"كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وأن المسلمين هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانوا بالفعل ممدنين لها وأئمة لنا طوال ستة قرون"(٢).

---

(١) المصدر السابق: ١٠٠.

(٢) المصدر السابق: ١٤٢.

وقال الأستاذ فيشر:

"في محيط الحضارة الرومانية الجرمانية التليدة جاء الفاتحون المسلمون بتيارات فكرية عذبة من دمشق والقاهرة وبغداد، وأضحوا سبيلَ الوصل مرة أخرى بين أوروبا ومنافع العلوم والفنون في الشرق حين سُدت سبل الاتصال بين الغرب والشرق ..."[١].

وقال فيلا سبازا:

"إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة، ولا خلق ابتسامة واحدة، وليس أجدر من أمم الشرق المحتفظة بالثقافة العربية الإسلامية والقائمة على إذاعتها بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشؤوم الذي يجرّ الإنسانية إلى هوة التوحش والتسلط المادي"[٢].

---

(١) المصدر السابق: ١٤٣.

(٢) "المسلمون والبديل الحضاري": ٨.

قال الكاتب الشهير جِب في كتابه "تجاه الإسلام":

"لم يحرز مجتمع من المجتمعات البشرية نجاحاً مثل ما أحرزه الإسلام في إقرار المساواة بين الأجيال المختلفة، بصرف النظر عن الطبقات البشرية وتنوع في الفرص، وإمكانيات للعمل، لقد تجلت من أوضاع الجالية الإسلامية الكبيرة في إفريقيا والهند وإندونيسيا، ومن الجالية الإسلامية الصغيرة في اليابان، قدرة الإسلام على إذابة الاختلافات في الأجيال والتقاليد التي لا تزول على مر القرون وعلى مدار التاريخ، فإذا كان لابد من إحلال عاطفة التعاون مكان الصراع والخصومة بين مجتمعي الشرق والغرب الكبيرين، فلابد في ذلك من الاستعانة بالإسلام والاعتماد عليه في تحقيق هذا المطلوب"[١].

---

(١) "اتجاه الإسلام": ٣٧٩.

ـــ وفي الجملة أقول إن الأمثلة على التأثير الثقافي كثيرة جداً لكن حسبي ما أوردته برهاناً على عظم أثر الثقافة الإسلامية في المجتمعات الأوروبية.

الثقافة الإسلامية ثقافة عملية وليست نظرية فقط:

إن من خصائص الثقافة الإسلامية المهمة أنها ثقافة تُعنى بالعمل إلى جانب التأسيس النظري الرائع:

"ليست جولة هذه الثقافة في آفاق المعرفة العقلية لوناً من ألوان رياضة الذهن، أو ضرباً من الاستزادة من المعارف، أو فناً من القول المنمق والأسلوب الممتع الجميل، فتلك كلها غايات تأتي تبعاً لا قصداً، وهي متوافرة في طائفة كثيرة من العلوم والفنون، أما الحديث في الثقافة الإسلامية فإنه يتجاوز حدود المعرفة العقلية البحتة لينفذ إلى القلب فيحرك المشاعر، ويفجر في روح المؤمن تلك الطاقة الحية العالية التي

تشده شداً محكم الأواصر إلى عقيدته الحقة النيرة وشريعته الكاملة القويمة، وتعمق فيه روح الولاء لأمته الرائدة القائدة التي أكرمها الله بهذه الرسالة الهادية.

وحين يتلاقى العقل والقلب، والفكر والشعور على فهم الإسلام ووعي قضيته والولاء لأمته والتفاعل مع مبادئه ونظمه، وحين يكون ذلك الفهم والوعي والولاء والتفاعل عميقاً قوياً شاملاً فلابد أن تنبثق من ذلك روح جديدة تتسم بالإيمان الصادق والعمل المنتج والعزيمة القوية، وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بمهمتهم القيادية الكبرى، وتتلاشى عوامل الانهزام الفكري والنفسي، وتـــزول أعراض ذلك المرض العضال من الشعور بالنقص، وشيوع الضعف والخور، والإخلاد إلى الراحة، والاستكانة إلى المتاع العاجل، والتعلق بالأهواء والشهوات، والخضوع لسلطة الأقوياء، والانبهار بحضارة الأعداء، وتتقد من جديد جذوة الكفاح الصامد لنشر الدعوة، ومواجهة التحدي، وقيادة الركب

الحضاري النير الذي فتح العقول والقلوب، ورفع لواء الكرامة والعدالة والحرية، وبسط راية العلم والمعرفة والسلام في أرجاء المعمورة"[١].

خلاصة المبحث:

ـــ يتضح من هذا المبحث السابق أن الثقافة عندنا يحكمها الدين ويهيمن عليها، وهو -أي الدين- عندنا طريق التنوير والرفعة والرقي، وهذا ليس حال الأمم الغربية والشرقية الكافرة التي لا يعدو الدين عندها أن يكون أساطير وخرافات ووثنيات، أو عقائد محرفة مبدلة اختلطت بالوثنية والخرافة، لذلك تختلف قواعد الثقافة عندنا اختلافاً بيناً عن القواعد التي بنوا عليها ثقافتهم.

ـــ والثقافة التي نريدها هي التي تساعدنا على فهم الإسلام فهماً صحيحاً وتطبيقه في مجالات الحياة كلها، وهي الثقافة التي تعرفنا حال الآخرين والأصول التي بنوا عليها حياتهم، ثم هي الثقافة التي تربط بين الدنيا والآخرة برباط محكم متين ليس فه ضعف ولا خلل.

---

(١) "لمحات في الثقافة الإسلامية" للأستاذ عمر عودة الخطيب.

ـــ فالثقافة الإسلامية -إذن- هي التي نستغني بها عن غيرها من الثقافات؛ لا لستارٍ من العزلة تنسجه لكن لأنها هي الأجدر والأقوى على قيادة البشرية وتوجيهها اعتماداً على أسس صحيحة وتصورات منضبطة، قادرة على مقاومة الثقافات الأخرى غير المنضبطة ولا القائمة على أسس صحيحة، والتي لا تقوى أبداً على الوقوف بوجه الثقافة الإسلامية الشامخة ذات الأسس الراسخة.

ـــ وفي النهاية لابد من القول إن الأمة الإسلامية هي التي ينبغي أن تكون لها الريادة الثقافية في العالم كله؛ لأنها هي الأمة المخاطبة بالخطاب الإلهي العظيم "اقرأ باسم ربك الذي خلق" والقراءة المقرونة بالإيمان هي الوسيلة الوحيدة لتكوين ثقافة آمنة صالحة للسيادة والريادة.

المبحث الثالث: أهمية تحصيل الثقافة الجيدة

لتحصيل الثقافة الجيدة الصحيحة أهمية عظمى أوجزها في الجوانب التالية، وقبل أن أبين تلك الجوانب لابد من توضيح أمرين اثنين:

١- الثقافة بمفردها لا تصنع الشخصية الإسلامية السويّة، لكنها جزء لا يُغفل منها وركن عظيم فيها، فلابد للمسلم من إيمان عميق، والتزام بالإسلام جليل، ولابد له من حسن خلق، ولين قلب وجمال روح ليكون له تأثير وأثر، كل ذلك لا ريب فيه ولاشك، لكن للثقافة حظ كبير في شخصية المسلم، ولما كان الحديث منصباً على الثقافة فقد أفردتها بالعرض لكن لا يعني هذا أنها كافية بأي حال من الأحوال، وأردت من هذا التنبيه لفت النظر إلى المقومات الأخرى في الشخصية المسلمة قبل الشروع في ذكر أهمية الثقافة.

٢- إن هناك طبقة واسعة، كثيرة العدد من الناس، تُعد هي الطبقة الملائمة للتكوين الثقافي الجيد، وهي الطبقة التي بين العلماء والعامة، وأعني بالعامة الدهماء الذين لا يكادون يفقهون قولاً فهؤلاء لا يصلحون للتكوين الثقافي الجيد، وهذه الطبقة الواسعة المستهدفة فيها أشخاص من حملة المؤهلات العليا والمتوسطة، وهي طبقة لها أثر في أي تغيير مرتقب فينبغي العناية بتثقيفها الثقافة المتكاملة الجوانب، المفيدة لها في دينها ودنياها، حتى يكون لها الأثر المناسب الجيد في مجتمعاتها، خاصة بعد تراجع أثر العلماء في المجتمع، وتهميش عملهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإليكم الآن بعض جوانب أهمية تحصيل الثقافة الجيدة:

١. صحة التصور للكون والحياة:

إذا حصل المرء على الثقافة الجيدة الصحيحة فإنه بذلك يكون مشاركاً في النظر إلى الحياة بمنظار صحيح بعيد عن الإفراط والتفريط،

وبعيد عن الأوهام والأخطاء، يضرب في أعماق التاريخ بثقة، ويبحث في حاضره بأمل، لا يهولنه الغالون في الأرض المستكبرون الطغاة، ولا يستخفنه البعيدون عن منهج الله في أرضه، نظراته صائبة وأفكاره تجري على سنن قويم، ويفهم بسهولة القضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني طويلاً كالخلق والبعث وسبب الوجود، ويستطيع أن يوفق بين حقائق الدين والعلم الطبيعي فلا يجد بينهما تنافراً بل سيتضح له تمام الوضوح أنهما من مشكاة واحدة، وسيدرك العلاقة بين الدنيا والآخرة على وجه متقن منضبط لاشك فيه ولا ريب، قال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾[١] قال رحمه الله تعالى:

---

(١) سورة المائدة: آية ٨٧-٨٨.

"ومع هذه الدعوة للانتفاع بالحياة يضع التصور الإسلامي أمام الإنسان صورة عن عاقبة هذه الحياة ومآلها حتى لا تلهيه عن وظيفته، أو تشغله بمفاتنها ومباهجها عن الغاية الحقيقية من وجوده، فالحياة الدنيا ظل زائل وعَرَض حائل، وهي محدودة بأجل مسمى، ونهايتها هو الموت المحتوم، وإنما الشيء الوحيد الذي له البقاء والخلود في هذا العالم الفاني هو الصلاح: صلاح القلب وصلاح الروح وصلاح الأعمال"[١].

وهذه الحقيقة السهلة اليسيرة، الرائعة العظيمة -حقيقة الانتفاع بالدنيا مع اليقين بأنها ممر للآخرة- يغفل عنها كفار الأرض فيغلون ويتطرفون ذات اليمين وذات الشمال، ويغفل عنها أيضاً مسلمون كثيرون ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، والدليل على هذا الذي ذكرته أن المرء يجد ملايين من المسلمين لا هدف لهم ولا غاية جليلة يسعون من أجلها، بل كل همهم هو التمتع بمتع الدنيا والاغتراف من

---

(١) "الإسلام ومشكلات الحضارة": ٤٣.

شهواتنا، ويجد أن ملايين آخرين من المسلمين يلهثون وراء الغرب ويقلدونه في منهجه وتصوراته وطرائق معيشته، وهذه الملايين غافلة عن المنهج الإسلامي الصحيح في كل ذلك، وسيجد -أيضاً- ملايين آخرين لا يؤمنون بالمنهج الإسلامي على أنه صالح للتطبيق وصالح لأن يحيا به المسلمون حياة كريمة جليلة، وهذا من البلايا التي جرّها عليهم عدم فهمهم لإسلامهم على وجه صحيح واضح، ولو تثقفوا بالثقافة الإسلامية الصحيحة لما ابتعدوا على هذا الوجه، ولما ضلوا في بنيات الطريق(١).

وقال الدكتور محمد الكتاني ناقداً الثقافة الغربية ومقارناً بينها وبين الثقافة الإسلامية:

"والملاحظ أن هذه الثقافة بمختلف روافدها الكبرى: الثقافة اليونانية، والمسيحية الغربية، وفلسفات عصر التنوير، وفلسفات عصر

---

(١) للاستزادة في هذا الموضوع ارجع لكتاب "الإسلام ومشكلات الحضارة" للأستاذ سيد، وكتاب "الحضارة الإسلامية" لأبي الأعلى المودودي.

النهضة، ومناهج العصور الحديثة لم تقدم للإنسان الذي أبدعها أي تصور صحيح عن الحقيقة الإلهية من ناحية، ولم تُقم له المسؤولية الأخلاقية على أي أساس يتميز بالثبات والكلية والشمول من ناحية أخرى".

ثم قال:

"إن الثقافة الإسلامية -باعتبارها منظومة معرفية وأخلاقية- تقوم على أسس ومبادئ جوهرية في توجيه الإنسان وتحقيق القيم المثلى في حياته ... إن الثقافة الإسلامية تتميز بما يتميز به الإسلام في جوهره من كونه رسالة سماوية إلى العالمين، ودعوة إلهية لهداية البشر على اختلاف لغاهم وأجناسهم وألواهم"[١].

---

(١) "الثقافة من المنظور الإسلامي": ١٩٧-١٩٨.

٢. الاعتـــزاز بهذا الدين العظيم ومن ثم الدعوة إليه:

من تثقف بالثقافة الإسلامية وعرف الجوانب المختلفة التي يقوم عليها هذا الدين ويرعاها في حياة الناس، وعرف تاريخ هذا الدين العظيم وتاريخ الأديان والمذاهب الأخرى سواء التي لها أصل سماوي ثم حُرفت وبطلت أو التي هي من وضع أرضي محض، من عرف هذا كله أورثته تلك المعرفة اعتـــزازاً بهذا الدين لا مثيل له ولا مزيد عليه، وصار من الدعاة إليه الراغبين في إيصاله للعالمين، وصار واثقاً من صلاحية دينه للقيام على كل شؤون الحياة.

وإن المرء ليجد ملايين من المسلمين في ديار الغرب والشرق الكافر يستحيون من إظهار دينهم أو أن يُعرف بأنهم مسلمون، وبعضهم يمنع نساءه وبناته من الحجاب حتى لا يُعرف أنهن مسلمات، فلو فقه هؤلاء دينهم، واطلعوا على عظمته وروعته وجلاله لما استحيوا من إظهار إسلامهم، والعجيب أنهم يستحيون من إظهار شعائر دينهم وغيرهم يباهي بإظهار شعائر دينه، هذا مع أن دين الإسلام حق محض،

بل هو الحق الأوحد في الأرض وما سواه باطل، فمن العجب استمساك أهل الباطل بباطلهم، واستحياء بعض أهل الحق من دينه.

ولقد رأيت في بعض مطارات أمريكا رجلاً أبيض يعتم بعمامة السيخ ويلبس على هيئة لباسهم فعجبت من هذا الغربي الذي نشأ على تقديس العقل والمنهج العلمي المحض كيف انجذب إلى دين كله خرافة وكذب، وكيف ساغ لعقله أن يقبله، ثم عجبت من قوة إظهاره لهيئة السيخ في لباسهم والنقطة الواسعة التي يضعونها على جبهتهم، لكني رأيت أنه كان في ضلال محض ثم وقع على ما ظن أنه الحق فاستمسك به وأظهره بقوة، فياليت المفتونين من أهل الإسلام يستمسكون بهذا الدين العظيم ويعضون عليه بالنواجذ.

ويرى المرء هذه العزة في الاستمساك بالإسلام فيمن يعتنقون هذا الدين العظيم، لأنهم كانوا في ضلال محض فولجوا إلى ساحة النور والجلال والجمال فبهروا، وعَظّموا ما أصبحوا فيه، وندموا طويلاً على ما فاتهم في الأيام الخالية، وسالت دموعهم تشوقاً لمعرفة المزيد عن هذا الدين العظيم، ولئن طُلب البرهان على ما أقولـــه -وهو جلي واضح لا يحتاج إلى كثير

تدليل ولا مزيد مناقشة- فَليُرجع إلى قصص المسلمين المهتدين، وهي كثرة كاثرة سُطر بعضها في صحائف جليلة، فليرجع إليها من شاء أن يعرف أثر الإسلام في النفوس العطشى الجدباء، وكيف فعل بها الأفاعيل، وكيف نقلها من ظلمات بعضها فوق بعض إلى النور والسناء والجلال(١).

ـــ ومن جملة المظاهر المنبئة عن عدم أو ضعف الاعتـــزاز بهذا الدين ما تصنعه بعض النسوة المسافرات للخارج من التخلي عن الحجاب إذا ركبن الطائرة المتجهة إلى الخارج، فإذا عدن سارعن إلى لبسه، وهذا أمر منبئ عن ضعف اعتـــزاز المرأة بدينها؛ وذلك لأن الحجاب -على أنه أمر شرعي وفرض ديني- عنوان بارز من عناوين الثقافة للمرأة المسلمة، كما سيأتي تفصيل ذلك في المبحث القادم إن

---

(١) انظر كتاب الأستاذ عرفات العش: "رجال ونساء أسلموا".
وكتاب " light of islam" نور الإسلام.
وحلقات كانت تنشرها مجلة الفيصل زماناً طويلاً عن المسلمين الجدد.
والكتب كثيرة في هذا الباب.

شاء الله تعالى، ولو كانت هذه المرأة الخالعة للحجاب معتـــزة به لما خلعته، ولو عرفت قيمته الجليلة ما تخلت عنه، ولو أدركت ما يحققه لها الحجاب من فوائد لما تركته، وهذا كله تعرفه المرأة إذا ثُقفت بثقافة إسلامية مناسبة.

ولا أكتم القراء أن هذا المشهد المنكر -مشهد خلع الحجاب- يزعجني إزعاجاً كبيراً، وأخجل منه خجلاً شديداً؛ وذلك لأنه دال على أن هذه المرأة ونظيراتها لم يفهمن الإسلام حق الفهم، ولم ينلن حظهن من التربية الدينية والثقافية الإسلامية.

وتشكو إليّ بعض النسوة من أن أزواجهن لا يسمحون لهن بالحجاب إذا خرجن إلى الخارج، أو أنهم لا يسمحون لهن بغطاء وجوههن -وهن يعتقدن وجوب تغطيته- وهذا أيضاً انكسار وهوان وضعف وتخاذل سببه ضعف الاعتزاز بالإسلام وجهل عظمة تشريعاته.

وقد كنت في بعثة خارجية في سنة ١٤٠١/١٩٨١ وخرجت مع مجموعة من المبتعثين إلى السوق وقد حان وقت الصلاة ولا يمكننا أداؤها في النـــزل، فطلبت منهم أن نصلي في إحدى الحدائق القريبة فتحرجوا!!

وقالوا كيف نصلي أمام الناس؟! فبينت لهم أن الأمر يسير، ولا يجوز لنا إخراج الصلاة عن وقتها فوافقوا بعد لأي وتردد.

وكنت في مدرسة الطيران في فرنسا في سنة ١٤٠٤/١٩٨٤ فحان وقت الصلاة فأردت أن أؤذن في مكان اخترته من المدرسة فجاءني أحد الطلاب وأرادني على الأذان في غرفة مغلقة الأبواب حتى لا أحرج سائر المبتعثين!!

وفي المدرسة نفسها دعينا إلى وليمة غداء في مطعم، فأتوا بنا على طاولة طويلة ووضعوا الخمر عليها فبينت للطلاب ولرئيس البعثة

أنه لا يجوز الجلوس إلى طاولة فيها خمر فأبى الرئيس إلا وضع الخمر على الطاولة واستحيا عدد من الطلاب من مخالفته فبقوا وقمت متحسراً على هذا الخجل الذي يؤدي إلى ارتكاب المعاصي.

وهذه الصور الثلاث آنفة الذكر تدل على أن هؤلاء لم يفقهوا دينهم حق الفهم، و لم يتثقفوا بالثقافة الإسلامية المناسبة ولذلك خالطهم الخجل في مواقف ينبغي أن يظهروا فيها الاعتـــزاز والقوة.

والناظر للشباب والشابات وقد وضعوا صور الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات واللاعبين على صدورهم وفي غرف نومهم، وهم يقلدوهم في مِشْيتهم ولباسهم وقصة الشعر، وفي الابتسامة والضحك، وفيما يحبون ويشتهون من طعام وشراب ولذائذ، الناظر لهؤلاء يعلم أهم لم يتثقفوا بالثقافة الإسلامية، و لم يجدوا من القدوات الإسلامية من يعتـــزون به ويحبونه ويسلكون طريقه ويتبعون طريقته، أو إنهم لم يُعرض عليهم هذا و لم يُعَلَّموه، فصار أعلام الإسلام في حكم المنسيين

الذين لا يكاد شباب المسلمين وشاباته يعرفون عنهم شيئاً، فلذلك صار الحب والهوى لأولئك، وإذا ذكر أعلام المسلمين رأيت أكثر الجيل عنها في عماية، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لذلك السؤال الذي يثور: هل يجوز هذا الصنيع إنما هو سؤال ليس في مكانه؛ لأنه معلوم من حال هؤلاء الشباب وما وصلوا إليه أن صنيعهم هذا محرم، ويقود إلى ضلال وباطل وتمييع للشخصية الإسلامية وثقافتها وتصوراتها وقيمها.

إن الله تبارك وتعالى لم يرض للمسلمين أن يتبعوا اليهود والنصارى في قبلتهم إلى بيت المقدس إلا برهة من الزمن ثم صرفهم عنها إلى الكعبة المشرفة، هذا وهو شأن خاص ضيق في أمر توجه إلى قبلة يمكن أن تكون شرقية أو غربية لكن الله لم يرض للمسلمين ذلك، أفيرضى جل جلاله أن يصبح المسلم مسخاً مقلداً تقليداً تاماً للاعب أو ممثل أو مغنٍ؟! معاذ الله، فكيف إذا كان هذا اللاعب كافراً؟! حيث إن

الإعجاب به آنذاك قد يؤدي إلى الإعجاب بتفلته من القيم والمبادئ والأديان وهذا هو حال أكثر كفار هذا الزمان؟ يقول الأستاذ سيد، رحمه الله تعالى في هذا الشأن، عند تفسيره آيات تحويل القبلة إلى الكعبة في سورة البقرة:

"إن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة: الاختصاص والتميز في التصور والاعتقاد، والاختصاص والتميز في القبلة والعبادة، وهذه كتلك لابد من التميز فيها والاختصاص ... إن في النفس الإنسانية ميلاً فطرياً -ناشئاً من تكوين الإنسان ذاته ومن جسد ظاهر وروح مغيب- إلى اتخاذ أشكال ظاهرة للتعبير عن المشاعر المضمرة، فهذه المشاعر المضمرة لاتهدأ أو لاتستقر حتى تتخذ لها شكلاً ظاهراً تدركه الحواس، وبذلك يتم التعبير عنها ... ولم يكن بدٌ من تميز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه، فهذا التميز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد، كما أنه -بدوره- ينشئ شعوراً بالامتياز والتفرد.

ومن هنا كذلك كان النهي عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم التي هي تعبير ظاهر عن مشاعرَ باطنةٍ كالنهي عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء، ولم يكن هذا تعصباً ولا تمسكاً بمجرد شكليات وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات، كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة، وهذه البواعث هي التي تفرق قوماً عن قوم، وعقلية عن عقلية، وتصوراً عن تصور، وضميراً عن ضمير، وخلقاً عن خلق، واتجاهاً في الحياة كلها عن اتجاه .."

ـــ ثم أورد الأستاذ رحمه الله بضعة أحاديث في النهي عن التشبه بالكافرين ثم قال:

"نهي عن تشبه في مظهر أو لباس، ونهي عن تشبه في حركة أو سلوك، ونهي عن تشبه في قول أو أدب، لأن وراء هذا كله ذلك الشعور الباطن الذي يميز تصوراً عن تصور ومنهجاً في الحياة عن منهج وسمة للجماعة عن سمة.

ثم هو نهيٌ عن التلقي من غير منهج الله ومنهج الخاص الذي جاءت هذه الأمة لتحققه في الأرض، نهيٌ عن الهزيمة الداخلية أمام أي قوم آخرين في الأرض، فالهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تتدسس في النفس لتقلد هذا المجتمع المعين، والجماعة المسلمة قامت لتكون في مكان القيادة للبشرية فينبغي لها أن تستمد تقاليدها -كما تستمد عقيدتها- من المصدر الذي اختارها للقيادة، والمسلمون هم الأعلون، وهم الأمة الوسط، وهم خير أمة أخرجت للناس فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ ومن أين إذن يستمدون تقاليدهم ونظمهم؟ إلاّ يستمدوها من الله فهم سيستمدونها من الأدنى الذي جاؤوا ليرفعوه.

ولقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق في التصور، وأقوم منهج في الحياة، فهو يدعو البشرية كلها أن تفيء إليه ...

والجماعة المسلمة التي تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه، وإن القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة في الصلاة، فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز، رمز للتميـــز والاختصاص، تميز التصور، ويتميز الشخصية، وتميز الهدف، وتميز الاهتمامات، وتميز الكيان.

والأمة المسلمة اليوم بين شتى التصورات الجاهلية التي تعج بها الأرض جميعاً، وبين شتى الأهداف الجاهلية التي تستهدفها الأرض جميعاً، وبين شتى الاهتمامات الجاهلية التي تشغل بال الناس جميعاً، وبين شتى الرايات الجاهلية التي ترفعها الأقوام جميعاً، الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الجاهلية السائدة، والتميز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبس بتصورات الجاهلية السائدة، والتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية

وهذا التصور، والتميز براية خاصة تحمل اسم الله وحده، فتعرف بأنها الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها ...

إن هذه العقيدة منهج حياة كامل، وهذا المنهج هو الذي يميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة، الشهيدة على الناس، المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلى الله، وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان، وفي الأهداف والاهتمامات، وفي الراية والعلامة، وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت له، وأُخرجت للناس من أجله، وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار، مبهمة الملامح، مجهولة السمات، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام"[١].

---

(١) "في ظلال القرآن": ١/١٢١-١٢٣ بتصرف.

وهذا كلام ينقل ويكتب ولا يستطاع التعليق عليه لعلوه ورفعته وعظمته[١].

ـــ ومن مظاهر عدم الاعتزاز بهذا الدين وثقافته هو قلة العناية باللغة العربية -لغة القرآن والإسلام- وهجرها، وهذا يجده الناظر في مواضع كثيرة من العالم الإسلامي، وعلى رأس ذلك عدم تعليم العلوم الطبيعية باللغة العربية في جامعات الدول العربية، إلا سوريا، بينما اليهود أحيوا لغتهم العبرية بعد موات طويل ودرسوا بها في مدارسهم وجامعاتهم، ورومانيا مثال آخر فلغتها تعد من اللغات الميتة عالمياً ومع ذلك فهي تدرس العلوم والفنون بلغتها، بينما لغة العرب أجمل اللغات وأحسنها وأفصحها وأبلغها وقومها لا يدرسون بها في جامعاتهم -إلا قليلاً-.

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع يُرجع لكتاب: "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وتجد كثيراً من أهل العربية يتفاخرون بالكلام بغير العربية، أو أهم عندما يتحدثون العربية يخلطون معها كلمات من غيرها، وهذا دليل بين على عدم اعتزاز أولئك بلغتهم التي هي ركن ركين من أركان ثقافتهم الإسلامية.

ـــ ولما نالت الجزائر استقلالها بعد رِق طويل وعبودية مذلة طالت حتى بلغت ١٣٢ سنة سارع عقلاؤها إلى وضع خطة لتعريب ألسنة الجزائريين بعدما مُنعوا من تعلم العربية بل عُدت لغة أجنبية كما نص على ذلك قانون شوطان سنة ١٩٣٨، لكن الفرنكفونيين وحزب فرنسا في الجزائر وذيول الاستخراب العالمي كانوا لهذه الخطة بالمرصاد، وحاولوا إلغاءها مراراً أو وضع العراقيل أمام تنـــزيلها على الواقع، وإلى يومنا هذا يعاني الجزائريون من تسلط هذه الفئة على اللغة العربية تسلطاً ينبئ بوضوح أن أولئك المعرقلين قد انسلخوا من ثقافتهم الإسلامية أو كادوا ينسلخون منها.

ــ والناظر لأولاد المسلمين في الدول الغربية يتفطر حزناً عليهم وهم يرطنون بلغات البلدان التي هم فيها فإذا حدثتهم بالعربية انقلبوا إلى أعاجم لا يدرون ماذا تقول ولا كيف يُبينون بها عن دخائل نفوسهم!!

وقد كنت حدثت أحد مقدمي وجهاء المسلمين العرب في فرنسا عن هذه القضية ولمته لما رأيت أن أولاده لا يحسنون العربية ولا يكادون ينطقون بها، فتعجب من لومي له، وما كان منه إلا أن قال: إن هذا الأمر لا يهمنا كثيراً في فرنسا، وحسبنا أن أولادنا ينشأون على حب الإسلام والتزامه!!

فقلت له: إن تضييع العربية جريمة لا لأنها لغة قوم بل لأنها لغة الإسلام والقرآن وحديث رسول الأنام عليه الصلاة والسلام، وبدون العربية لا يُفهم الإسلام حق الفهم -غالباً- ولا يُتلذذ بقراءة القرآن وفهمه، وظللت أشرح له منافع العربية ومزاياها كأنه مسلم حديث

الإسلام -وهو العريق في العروبة، أباً عن جد- فلا يزيده حديثي إلا صدوداً، فعجبت من حاله وهو مقدم في المسلمين هنالك ويعد من وجهائهم ودعاقم إلى الإسلام فما بالكم إذن بمن هو أقل منه شأناً وعلماً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فالقوم لم يفهموا أن العربية جزءٌ عظيم من الثقافة الإسلامية، وأن هنالك من المسلمين الأعاجم والمسلمين حديثي الإسلام من يتمنى تعلمها ليزداد فقهاً وعلماً فكيف يضيعها أهلها عن سابق إصرار وتعمد؟!

ومن اللطائف الغريبة أني كنت في بروكسل سنة ١٤١١/١٩٩١، وكنت أتردد فيها على أحد إخواني من الملتزمين بالإسلام، وهو يمني متزوج بمغربية، ومقيم هنالك، فوجدته يوماً وهو سعيد فرح وبادرني بالقول: الحمد لله، لقد افتتحوا قناة ـــــ ، وقد أدخلتها بيتي، وزوجي وأولادي يستمتعون بها وينظرون فيها.

فنظرت إليه متعجباً وقلت له: يا فلان: إن هذه القناة لا يدخلها في بلادنا أحد ممن يعد من الصالحين، ولا يفعل ذلك عندنا إلا من سفه نفسه.

فرد علي قائلاً: يا أخي: إن هذه القناة تعلم أولادي العربية، وقد كادت تضيع منهم فأنا في حاجة ماسة إليها، ثم هي أخف شراً من غيرها من القنوات الأوروبية، فعجبت آنذاك من ذلك لكني أدركت عظم أثر العربية في النفوس، وأن من الصالحين من يحاول الحفاظ عليها لغةً لأولاده ولو بالأخذ بأقل المفسدتين دفعاً لأعظم الضررين.

ــ وهذه مصر قد أرادت حكومتها وبعض مشبوهي مثقفيها ومفكريها أن يحتفلوا بمرور مائتي سنة على الحملة الفرنسية على مصر، فضج العقلاء والمخلصون في مصر وخارجها، وملأهم العجب: كيف يمكن للمغلوب أن يحتفل بغالبه؟ وهل حدث في يوم من الدهر أن أمة مغلوبة احتفلت بتاريخ التغلب عليها؟! وعهدنا بالأمم والشعوب أن

تحتفل بالاستقلال والجلاء وخروج المحتل المستخرب لا أن تحتفل بتغلبه ودخوله، ولقد فسدت خطتهم -ولله الحمد والمنة- ولم يُقَم هذا الاحتفال المخزي بفضل الله تعالى، لكن هكذا يورث الاعتـــزاز بقيم الغرب و"تنوير الغرب" المزعوم الذل والهوان للمعتزين به والمعرضين عن دينهم وأمتهم وثقافتها الإسلامية(١).

٣. معرفة الرأي الإسلامي الصحيح في القضايا المهمة:

إن المثقف بالثقافة الإسلامية الجيدة سيقف على الرأي الإسلامي الصحيح في القضايا المهمة سواء كانت في الزمن الماضي أو الحاضر، وهذا أمر في غاية من الأهمية، فهناك قضايا مهمة لابد من معرفتها وفهمها مثل علاقة المسلم بغيره، والنظام الإسلامي في الحكم، ونظام الشورى، وتكريم الإسلام للمرأة وحقوقها وواجباتها، وتكريم

---

(١) وللاستزادة في هذا الباب يراجع الكتب التالية:

"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية": للأستاذ أبي الحسن الندوي، "نحن والحضارة الغربية": أبو الأعلى المودودي، "موقف الإسلام من الحضارة الغربية": محمد محمد حسين.

الإسلام للإنسان، وحقوق الإنسان في الإسلام، وموقف الإسلام من الرِّق (العبودية)، وجملة أخرى من القضايا والحوادث المهمة في عصرنا مثل قضية فلسطين، والجهاد في الإسلام، وغير ذلك.

أما من كانت ثقافته ضحلة أو ضعيفة فإنه سيظل تائها ضائعاً في هذه القضايا وغيرها، تختلط عليه الأمور فلا تتضح له، توجهه وسائل الإعلام المشبوهة، وتقذف به هاهنا وهنالك آراء وأفكار الكتاب على اختلاف توجهاتهم وعقائدهم وتصوراتهم، ويصير أُذُناً لكل متكلم، فلا يدري ما هو الصحيح وما هو الخطأ، ومثل هؤلاء تعاني منهم البلاد العربية والإسلامية أشد المعاناة اليوم؛ إذ منهم كتاب وصحفيون وإعلاميون ومشاركون في البرامج الإعلامية وساسة وعلماء اجتماع ومفكرون وغير ذلك ممن ابتليت بهم أمة الإسلام حيث صاروا يتحدثون في أمر العامة، ويدلون بأحاديث وآراء بعيدة -في كثير من الأحيان- كل البعد عن الرأي الإسلامي الصحيح، وحدث من ذلك

خلط كبير في الساحة الإسلامية، وكل ذلك من افتقاد هؤلاء -الذين نُصبوا أدلاء للعوام في وسائل الإعلام- إلى الثقافة الإسلامية الصحيحة.

٤. الحصانة ضد الشبهات:

إن هذا الدين عظيم في كل شيء، رائع إلى الحد الذي سهل به انتشاره في الخافقين وفي زمن قصير نسبياً، وهذا الأمر هو الذي رَوّع الأعداء المتنافسين على حطام الأرض، وروع القائمين على الأديان الباطلة المحرفة أو الوضعية المخرِّفة فهاجوا وماجوا وأرادوا الغض من هذا الدين وإثارة الشبهات حوله من كل جانب ظناً منهم أنه بهذا سينصرف الناس عن هذا الدين، وهذا ليس بالأمر الجديد إذ قد بدأ هذا منذ نزول هذا الدين العظيم، والمتثقف بالثقافة الإسلامية لا تضيره تلك الشبهات بل تزيده إيماناً بصلاحية هذا الدين وعظمته خاصة إن فهم الدوافع التي من أجلها يثير أعداء الإسلام هذه الشبهات.

واليوم تثار شبهات عدة هي أقوى في الانتشار بسبب التطور الحادث في وسائل الإعلام فلابد من مواجهة هذه الشبهات بقوة، وتنشئة الشباب على الحصانة منها، فأعداء الإسلام لا يكلون ولا يملون؛ إذ كلما خفت تأثير شبهة خرجوا بأخرى، هذا ديدنهم ودأبهم، وإن عجبت فعجبي من شباب كثر لا يستطيعون فهم هذه الشبهات ولا يعرفون كيف يردون عليها، وهذا جهل فاضح وعيب واضح في كثير من شباب الإسلام، فمن الشبهات التي تثار اليوم علاقة الإسلام بالإرهاب على الوجه الخاطئ الذي يُعَرّف به الإرهاب اليوم، والإسلام والمرأة، والإسلام وحقوق الإنسان، إلى آخر تلك الشبهات التي تُرمى في وجه المسلمين من حين لآخر، ولو سئل شباب المسلمين كيف يفندون تلك الشبهات وكيف يردون على مزعجات تلك الأصوات لما عرف أكثرهم كيف يصنع بها، وهذا من القصور الواضح والضعف في التثقف بثقافة إسلامية قوية ومناسبة للعصر.

ــ ولو سألت اليوم بعض شبابنا عن محرر العبيد من هو؟ لقال بعضهم هو إبراهام لنكولن، رئيس أمريكا، بينما محرر العبيد الحقيقي هو الإسلام بما أتى به من نظم وشرائع في هذا الخصوص، لكن من يفقه ويدري؟![١]

ــ ولو سألت بعض شبابنا عن رائد البحر والمقدم فيه ابن ماجد لجهله وعرف ماجلان، الذي ألصق بابن ماجد شبهات باطلة.

ــ ولو سألتهم عن رواد العلوم والفنون لأجاب بأنهم الأوروبيون وجهل ما قام به المسلمون من عمل جليل في الاستفادة من الحضارات القديمة والإضافة عليها إضافات رائعة كان لها أكبر الأثر في النهضة الغربية بعد ذلك، لكن الشبهات ألصقت بعمل المسلمين هذا حتى يُتجاهل ويُنسى، فمن يعرف تلك الشبهات ويستطيع فهمها والرد عليها من شبابنا؟

---

(١) انظر كتاب "الإسلام محرر العبيد: التاريخ الأسود للرق في الغرب": أ.حمدي شفيق.

وهكذا دواليك في أكثر الجوانب الفكرية والعلمية المعاصرة، والثقافة الإسلامية الصحيحة كفيلة بالحصانة الملائمة ضد هذه الشبهات والتعريف بطرائق الرد عليها.

ـــ وقضية الحصانة ضد الشبهات هي قضية بالغة الأهمية لا يمكن تجاوزها ولا التهاون بها، ورب شخص علقت بذهنه شبهة فلم تحلّ فأدى هذا إلى تدمير في نفسيته وطريقة تفكيره ثم ينتقل هذا التدمير إلى المجتمع، ولا يستهولن شخص هذا الكلام ولا يظنه ضرباً من المبالغات بل هو مصيبٌ كبدَ الحقيقة، وسأذكر على ذلك مثالاً مهماً قد وقع في دنيا الناس، وهو مثال هدى محمد سلطان التي اشتهرت بلقب زوجها: هدى شعراوي، فقد كانت مدرستها في المدرسة قد اختارتها من بين الطالبات لذكائها ونباهتها ولمركز أبيها، فقد كان باشا من الباشوات في مصر، وقد دخل مع الانكليز القاهرة لما احتلوها سنة ١٨٨٢، وكانت مدرستها فرنسية، فاختارتها لتلقي في ذهنها شبهة أن المرأة المصرية مظلومة، وأنها مضطهدة وأنها ناقصة الحقوق، وأنها ينبغي أن تُحرر، وتعهدتها بهذه الشبه طويلاً تسقيها إياها على مهل وبتدرج

ومكر حتى أشربتها البنت تماماً وصارت عالقة في عقلها وقلبها وتصوراتها، ولكي تكتمل السيطرة على هذه البنت فقد ذهبت بها إلى بيتها وعلمتها الضرب على آلة "البيانو" الموسيقية، وعلمتها الرقص، وضاعفت عليها دروس اللغة الفرنسية، وذهبت بها إلى حفلات الفرنسيين في القاهرة، وعملت هذه المدرسة كل ما في وسعها لتحول بين هذه البنت وبين الثقافة الإسلامية، وأشربت البنت الثقافة الفرنسية بكل جوانبها، ثم بعد ذلك ولما اشتد عود البنت رُشحت لتمثل مصر في مؤتمر روما سنة ١٩٢٣ الذي كان مؤتمراً لمناقشة قضايا المرأة، فذهبت وعادت ممسوخة التفكير والشخصية، ومكن لها الاستخراب الإنجليزي في القاهرة فأسست الاتحاد النسائي المصري الذي كان له آثار خطيرة ومدمرة على المجتمع المصري ونسائه خاصة، وأخرج قيادات نسائية بالغة السوء مثل أمينة السعيد وسهير القلماوي وسيئة الذكر نوال السعداوي، ولولا أن الله قيض لمصر قيادات نسائية إسلامية على رأسها الأستاذة زينب الغزالي -رحمها الله تعالى- لجرى على مصر شيء أعظم، ثم إن الله أنقذ مصر بالصحوة الإسلامية التي أتت على بنيان

القوم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم، ولله الحمد والمنة، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وعاد كيد النسوة الضائعات في نحورهن، وذهبت جهودهن أدراج الرياح، فلله الحمد والمنة.[١]

٥. مقاومة الثقافات الوافدة:

هذا العصر الذي نعيش فيه قد سهل على الناس فيه الاختلاط والسفر، وارتقت وسائل الإعلام والاتصال لتنقل كل شاردة وواردة تجري في الأرض، وأصبح العالم أضيق بكثير من ذي قبل، فصارت ثقافات الأمم تُتناقل بسهولة ويسر، وتغزو المجتمعات غزواً سريعاً عجيباً، وعلى رأس هذه الثقافات الثقافة الغربية تقودها الثقافة الأمريكية، ولهذا أسباب كثيرة؛ منها: تفوق أمريكا الإعلامي خاصة صناعة الأفلام التي سيطرت على الإعلام العالمي عقوداً عديدة.

---

(١) ينظر في هذا كله كتاب أُلف عن هدى محمد سلطان "هدى شعراوي" رثاءً لموتها.

ومنها إمساكها بزمام القيادة العالمي.

ومنها: حرصها على التدخل السافر في شؤون العالم الإسلامي ومن أهم أذرعتها في هذا التدخل هي الثقافة.

ومنها: سهولة طرائق عيش الأميركان وقلة اكتراثهم بالتعقيدات اللفظية أو المعنوية.

ومنها: انتشار لغتهم ولهجتهم الناطقة بتلك اللغة في معظم أصقاع العالم، ومنها انفرادها -تقريباً- لمدة عقود في صناعة أفلام الكرتون "ديزني" التي تأثر بها أطفال العالم سنوات طويلة ونشأوا على حبها، وأسباب أخرى أدت في مجموعها إلى انتشار تلك الثقافة وتأثر عشرات الملايين من شباب العالم الإسلامي بها.

وهذا لاشك يمثل خطراً على الثقافات السائدة في مجتمعات الأرض، إذ ليست الدول الإسلامية هي المتأثرة فقط بالغزو الثقافي الأميركي بل كل دول الأرض تقريباً، ولهذا رفض رئيس فرنسا السابق جاك شيراك فتح فرع لمطعم "ماكدونالدز" في برج إيفل لأن البرج جزء

من ثقافة فرنسا والمطعم جزء من الثقافة الأميركية، ولهذا السبب أيضاً انسحب هو نفسه من اجتماع أوروبي انزعاجاً من تحدث أحد أعضاء وفده في الاجتماع باللغة الإنجليزية، كيف لا يصنع ذلك وهو الحارس للجبهة الفرنكفوتية العالمية التي من أهم دواعي إنشائها نشر اللغة الفرنسية، ولقد حرصت فرنسا على إدخال اللغة الفرنسية لغة ثانية في دورة الألعاب الأولمبية في سدني في استراليا سنة ١٤٢٠/٢٠٠٠ لكن رفض المنظمون هذا الطلب، على أن الثقافتين الانجليزية والفرنسية تكادان تشتركان في أكثر الأصول لكنه الحرص الشديد على التميز الثقافي والتنافس فيه.

ـ وفي فرنسا تشتد معارضة الأفلام الأمريكية، وملاهي ديزني التي هي بالقرب من العاصمة باريس، والحكومة الفرنسية تفرض ضرائب على الإنتاج الثقافي الوارد من أمريكا[١].

---

(١) بحث "الإعلام والهيمنة الثقافية: المغرب العربي نموذجاً": للأستاذ عبدالباسط دردور، من مجلة كلية الدعوة وأصول الدين. طرابلس الغرب العدد ١٩ ص ٣٢٤.

ــ ولتحافظ فرنسا على هيمنتها الثقافية في الدول التي كانت تحتلها فإنها "قد أنشأت مصلحة لتوزيع الأخبار مجاناً للإذاعات والتلفزيونات الإفريقية وذلك بواسطة الأقمار الصناعية، وتقدم كل يوم عشر دقائق من الأفلام الوثائقية والأخبار الدولية، كما أنها ترسل ٥٢٠٠ ساعة سنوياً من البرامج المجانية، كما أنها توزع الأفلام الفرنسية وتمول ٨٠% من الإنتاج السينمائي لدول إفريقية ناطقة بالفرنسية"(١).

ــ وفي المغرب يُعِد "القسم الصحفي في القنصلية الأمريكية في الدار البيضاء ثمانين متراً يومياً من القصاصات يوزعها مجاناً على مختلف الجرايد المغربية، وفي موازاة ذلك يُعِدّ يومياً شرائط يوزعها على القناة التلفزيونية الرسمية الثانية وتبث هذه الأخبار مصحوبة بالتعليق !!"(٢).

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٦.

(٢) المصدر السابق ٣٢٩.

ــ وفي المغرب -أيضاً- وُقعت اتفاقية مع فرنسا لإنشاء "قناة مغربية فرنسية أطلق عليها N٢ أو القناة الثانية المغربية، وتتلقى هذه القناة دعماً مالياً من فرنسا يبلغ سنوياً نصف ميزانيتها"[(١)].

ــ وهناك خلافات أوروبية أمريكية فيما يتعلق بالأفلام واستبعادها من اتفاقية الجات[(٢)]، وما ذلك إلا للتخوف الأوروبي من هيمنة الثقافة الأمريكية على ديار أوربا.

وفي ألمانيا نُشرت دراسة تقول: إن الأطفال هناك يشاهدون التلفاز لمدة ثماني ساعات أسبوعياً، وأن الآباء قلقون على أطفالهم مما يحمله التلفاز من ثقافة هوليوود الأمريكية لهم[(٣)].

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٥.

واتفاقية الجات هي اتفاقية تجارية عالمية.

(٣) موقع "عيون العرب".

فالقوم حريصون على ثقافتهم وعلى مقاومة غزوها بالثقافة الأميركية القوية لكن الأمر يختلف في المجتمع الذي حصن النشء فيه بالثقافة الإسلامية فإنه لن تستطيع ثقافة غزوه بسهولة ولا التأثير في مكوناته، لكن المصيبة كل المصيبة إذا حوربت الثقافة الإسلامية في كثير من دول الإسلام وجيء عمداً بالثقافات الوافدة وعلى رأسها الثقافة الأميركية.

ــ ومن المظاهر الدالة على انصياعنا لثقافة الغربيين أن كثيراً من الدول العربية قد جعلت إجازتها الأسبوعية يومي السبت والأحد، جرياً وراء الثقافة الغربية في جعل هذين اليومين إجازة، وهما يومان لليهود والنصارى يتفرغون فيهما لأداء عباداتهم فمالنا ولهم؟! وبعض الناس يرى أن في هذا فائدة اقتصادية حيث تظل أيام العمل في بلاده متوافقة مع أيام العمل عند أولئك الغربيين فلا يتعطل الإنتاج؟!

وأقول: إن الذين جعلوا هذين اليومين إجازة لم يكونوا يفكرون بهذا السبب بل إنهم جروا على عادة الغربيين الذين كانوا قد احتلوا بلادهم وفرضوا هذين اليومين عليهم، فعوضاً عن الرجوع إلى إجازة الجمعة ثبت أولئك على ما كان عليه الحال أيام الاستخراب، وفي هذا تبعية ثقافية واضحة، بدعوى واهية، ونحن نشاهد أن الناس في تلك الدول يعانون من قضية صلاة الجمعة أشد المعاناة، ويوم الجمعة أعظم أيام الأسبوع في الإسلام ويُسن فيه التفرغ لتلاوة الكهف والصلاة على النبي ﷺ والدعاء والتبكير للجمعة، وقضاء الوطر وغير ذلك من سنن وواجبات يحسن معها أن يكون يوم الجمعة يوماً للتفرغ من العمل، فإذا بأكثر الدول العربية والإسلامية تجعله يوماً كسائر الأيام، أفليس في هذا تبعية ثقافية معيبة لغيرنا؟!

ولو كان لدى مسؤولي تلك البلاد الثقافة الإسلامية المحصِّنة لما وافقوا على جعل الجمعة يوم عمل، والسبت والأحد يومين للراحة!!!

٦. المشاركة في توجيه المجتمع:

إن صاحب الثقافة الجيدة قادر -بإذن الله تعالى- على المشاركة في توجيه مجتمعه نحو الخير والرشاد والصلاح، وتجنيبه كثيراً من الشرور والمفاسد، وصاحب الثقافة الضعيفة ليس بقادر -في الأغلب- على هذا لا لشيء إلا لأنه يجهل كثيراً مما يحيط به مما يجعله عاجزاً عن إبداء الرأي في القضايا المهمة دع عنك المشاركة فيها.

ذهب أحد المشايخ المشهورين إلى تركيا في زمن تبوئ الأستاذ نجم الدين أربكان لرئاسة وزرائها، وكانت الأحداث تعصف بتركيا عصفاً شديداً، والمتربصون بأربكان كُثر، والتعاطف مع أربكان من قبل أنصاره قوي للغاية، فجاءهم هذا الشيخ فعُنوا به إلى الغاية من العناية، وذلك لمنصبه، فدعوه للقاء يضم أنصار أربكان، ودار اللقاء على أحوال تركيا ووضع أربكان خاصة، فلما سمع الشيخ باسمه قال مستغرباً مستفهماً: من هو أربكان؟! فاستاء الحاضرون استياءً عظيماً، فكيف

يجهل شيخ كبير الأستاذ نجم الدين أربكان، وهل يخفى مثله على أي مهتم بأحوال الإسلام والمسلمين؟! وهذه الحادثة تدل بوضوح على أن المرء إن لم يقرأ ويطلع فإنه سينحدر إلى هوة سحيقة من الجهل بأوضاع المسلمين، وهذا معيب إن كان من عامة الناس فكيف إذا كان أحد المشايخ المرموقين المشار إليهم بالبنان؟!

ثم كيف يكون مثل هذا شيخاً وهو لا يهتم بأحوال المسلمين ولا يطلع عليها اطلاع مَن يرجو أن يستطيع أن ينفس عن إخوانه شيئاً من كربهم، وأن يداوي ما استطاع من جراحهم وآلامهم، وأين يذهب من حديث رسول الله ﷺ:

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[1].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

وحديث رسول الله ﷺ :"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"(١).

قصة جليلة:

هناك تجربة جليلة في اليمن في تدريس الثقافة الإسلامية على وجه أصيل صحيح فإذا بالمجتمع كله -تقريباً- تتغير وجهته، وهي قصة جليلة عظيمة، تستحق أن تكتب بحروف من نور، وقد قصها عليّ أحد حكماء الدعاة ومقدميهم، وقد كان من المشاركين في أحداثها، وهي طويلة، لكن خلاصتها أن الناس في جبال اليمن كانوا معتنقين للمذهب الزيدي الشيعي وربوا عليه طويلاً، منذ ما يقارب ألفاً ومائة سنة قبل ثورة اليمن في ١٣٨٢/١٩٦٢، فلما استقرت الأوضاع في اليمن بعد الثورة سلك بعض حكماء اليمن -والحكمة يمانية- مسلكاً فريداً في توجيه المجتمع إلى السنة بهدوء وحكمة؛ إذ وضعوا لطلاب المدارس

(١) المصدر السابق.

منهجاً ليس فيه ذكر للفرق والخلاف، وعهد اليمن بالمدارس جديد، وهذا مما ساعد أولئك الدعاة الحكماء؛ فلم يكن هنالك -تقريباً- منهج سابق نقضوه، ولا مقررات منظمة خالفوها، فوضعوا منهجاً مرتكزاً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قائماً على تعظيم الإسلام ورجاله بدون تمييز ولا تفريق مؤد إلى إذكاء العصبيات الجاهلية، وجاؤوا بمدرسين كثيرين مثقفين بثقافة إسلامية صحيحة ويعون فوائد هذا العمل، ومن ثم صاغوا دستور اليمن صياغة إسلامية فيما يعرف بـــ"الميثاق"، ليساعدهم على ما ذهبوا إليه وأرادوه في اليمن، فأحدثوا في البلاد ثورة ثقافية هائلة بعد ثورتها العسكرية؛ إذ أن من نتائج هذا المنهج بعد قرابة أربعين سنة من الأخذ به أن تسنن أكثر زيدية الجبال، وصارت بيوت اليمن العريقة في الزيدية هي البيوت المنافحة عن السنة والآخذة بها، وتُرضي عن الصحابة كلهم بدون لجاجة ولا إغراق في التفضيل، وانتشرت السنة في جبال اليمن انتشاراً لا عهد لها به من قبل، وعادت صلاة التراويح بعد انقطاع طويل، وتحقق لليمن ما كان يحلم به

ابن الوزير والمَقْبلي والحسن الجلال والأمير الصنعاني والشوكاني وغيرهم من عظماء اليمن، بفضل الله تعالى ثم بفضل أولئك الدعاة الحكماء الذين اغترفوا من الثقافة الإسلامية الصحيحة ثم كان لهم شرف توجيه المجتمع كله -تقريباً- إلى السنة فيما يُعدّ تغييراً رائعاً لا مثيل له في العصر الحديث، فيما أعلم.

ولو سلك هذا المسلك دعاة العراق قبل الثورة الشيوعية المشؤومة، ثورة عبدالكريم القاسم سنة ١٩٥٨ بل قبل دخول الإنجليز سنة ١٩١٨ يوم لم تكن العصبية بين السنة والشيعة على هذا الوجه الذي نراه اليوم لو سُلك هذا المسلك لما بقي في العراق إلا قلة من الشيعة الذين اشتري أغلبهم بأموال الصفويين أو أُرهبوا بسيوفهم ليتشيعوا بعد أن كانوا سنة.

ولو سلك هذا المسلك مع علويي الجبل في الشام ودروزه فلربما تغير التاريخ.

وكذلك الحال في بعض مناطق جزيرة العرب وباكستان، نعم إن هناك فرقاً بين اليمن وبين بعض تلك المناطق المذكورة لكن إنما أريد الأخذ بأصل المحاولة لا بحذافير طرائقها، والله هو الموفق سبحانه والمعين.

ـــ وما الحوثيون في اليمن اليوم إلا نتاج تشويه ثقافي مورس على بعض رؤوسهم ومقدميهم في "قم" وصاحبه دعم مالي وإهمال من قومهم أدى بهم إلى أن يُستفحل خطرهم وتعظم أذيتهم على ما نشاهده اليوم.

٧. سعة الأفق:

صاحب الثقافة الجيدة يتسم -غالباً- بسعة الأفق وحسن التصور؛ وصاحب الثقافة الضعيفة يتسم -غالباً- بضيق الأفق وسوء التصور، وعلى ذلك شواهد كثيرة تدل على أن الأمر لا يتعلق بالشهادات ولا بمقدار العلم الذي يحصله الشخص، لكنه متعلق بتنوع المعلوم وشموله.

ــ كنت أَدْرس في مرحلة "الماجستير"، وكان أحد المشايخ يفسر من سورة الأنعام قوله تعالى: M c d e f g h i j k l L فذكر أن هذه الآية تدل على أن الأصل في الكون السكون في كل شيء، ووافقه على ذلك جماعة الطلبة الذين لم يكن أحد منهم قد درس دراسة علمية طبيعية، فاستأذنت الأستاذ لأتكلم فأذن لي فشرعت في كلام طويل خلاصته أنه قد ثبت علمياً أن المادة تتكون من أجزاء صغيرة جداً لا ترى إلا بالمجهر الالكتروني، وأنها مكونة من بروتونات والكترونات تدور حولها، ومجموع الالكترونات والبروتون تكون الذرة التي هي في حركة دائبة، فالأصل -إذن- في الأشياء الدوران.

فقال الأستاذ: هل تريد أن تقول لي إن هذه الطاولة التي أمامي تدور؟! إن هذا لا يكون إن هذا لا يكون.

ورددت بأن الذرة متناهية في الصغر وأنها مضمومة إلى بلايين الذرات في هذه الطاولة فلذلك لا نشعر بحركتها، فلم يقبل مني حفظه الله، وضحك مني سائر الطلاب!!

ــ وجاءنا أستاذ آخر، وكان يدرس الحديث النبوي الشريف فجهد في تقليل أهمية الحاسب الآلي "الكمبيوتر"، وأنه يعود على مستخدمه بالبلادة، وأنه يعوده الكسل، ولقد حاول بعض الطلاب بيان منفعة الحاسبه لكنه لم يقبل، وأصر إصراراً -عجيباً غريباً- على قوله.

وذكر مرة مادة الرياضيات، وأنه لا فائدة من دراستها!! فقلت له: بل هناك فائدة لا تنكر من دراستها، فقال لي: هل درست "جاجتا"، و"ظاظتا"[١]، ما هذه الــ "جاجتا" و"الظاظتا"؟! وما فائدتها؟!

(١) هذه رموز للوغاريتمات.

وأوصانا في إحدى المحاضرات بالاستمساك بالعمل الجماعي في الدعوة، فطلب الطلبة منه مثالاً على ذلك، فقال: إذا كان شخص ما مكلفاً بأن يحاضر في مكان ما فإنه ينبغي أن يكون هناك من يأخذه بسيارته وهناك من يعيده!!

ـــ وهذه الأمثلة تدل بوضوح على أن العالم بشيء إن لم يهتم بالعلوم الأخرى -على الوجه الذي ذكرته في مبحث سابق- فإنه سيكون ضيق الأفق، سيء التصور لتلك العلوم بل ربما يرفضها جملة أو يرفض أصولاً وقواعد منها، وسيوهن ذلك من شخصيته الثقافية العامة، وربما افتضح إذا جرى في المجالس أحاديث لا يكاد يدري عنها شيئاً.

٨. اكتساب التوازن والشمول:

إن الثقافة الإسلامية تكسب المرء توازناً في شخصيته وشمولاً في معارفه، فهي لا تتقوقع على نفسها، ولا تهتم بشيء وتترك شيئاً آخر،

بل إنها تتناول حياة المرء من كل جوانبها، فليس فيها تضييع للإيمانيات، ولا إهمال للعقل، ولا تعظيم للمال لذاته، ولا تفريط في الحقوق، ولا إفراط في المشاعر، ولا تعد على الحرمات، ولا تضخيم للجزئيات، ولا اقتصار على الكليات، فهي ثقافة تتناول الجوانب المهمة كلها في توازن عجيب وشمول رائع، ولا عجب فهي من لدن حكيم عليم، سبحانه وتعالى.

إذن فأقول باطمئنان عقب ذكر هذه الجوانب التي توضح أهمية تحصيل الثقافة الإسلامية:

إن هذه الثقافة كفيلة -إن سادت المجتمعات المسلمة- أن تجعلها أرقى المجتمعات وأكملها من حيث الفهم والتصور لهذه الحياة ولعلاقتها بالدار الآخرة، ومن حيث وجوب عمارة الأرض وفي الوقت نفسه عدم نسيان الآخرة، وأن تحصن أفراد المجتمع من الثقافات الأخرى التي لم تؤسس على دين ولا تستطيع بناء الدنيا بناء صحيحاً، وأن تصون

المجتمع من خطر الإفراط الذي يؤدي إلى الغلو، ومن خطر التفريط الذي يؤدي إلى التساهل والتفلت، كل ذلك سيتحقق -إن شاء الله تعالى- في توازن وشمول ليس متوافراً لأية ثقافة أخرى، فياليت قومي يعلمون.

المبحث الرابع: من هو المثقف؟ وآلية تحصيل الثقافة

اختلف الناس اختلافاً بيناً في تحديد مَن هو المثقف، ومرد ذلك الخلاف هو عدم الاتفاق على تعريف محدد للثقافة العامة -كما بينت سابقاً- ولوجود أوهام خاطئة في أذهان كثير من المتعرضين لقضية الثقافة والمثقفين، أو لأن ما يؤمنون به من مذاهبَ وأفكار يفرض عليهم تصوراً معيناً لطرائق تحصيل الثقافة.

فعلى سبيل المثال هناك وهم في أذهان كثير من الناس بأن طريق تحصيل الثقافة هو القراءة المطولة، فمن قرأ كثيراً يُعَدّ مثقفاً، وهذا غير صحيح، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ـــ وهناك فريق من الناس يرى أن الثقافة لا طريق لها إلا بقراءة كتب الغرب والشرق وتراثهما، وأنه كلما أوغل المرء في تلك القراءة على ذلك النحو صار من جملة المثقفين الرواد، وهذا أيضاً وهم، وظهر

أثر ذلك في المجلات التي بين يدي الناس وعنوانها "الثقافة"؛ ففي تلك المجلات يبدو ظاهراً للعيان هذا المنهج، ويبدوا واضحاً الاحتفاء الكبير برموز الغرب أو الشرق بحسب اتجاه المجلة الفكري والعقديّ.

ـــ وهناك فريق من الناس يرى أن المثقف هو الذي يتكلم أكثر من لغة، ويطلع على تراث الأقوام بلغاتهم، وهذا وهم ظاهر؛ فإن كثيراً من الغربيين الموصوفين بأنهم مثقفون لا يعرفون إلا لغة واحدة، ودعا هذا الوهم عدداً ممن يظن في نفسه قوة الثقافة وحسنها أن يمزج لغته العربية التي يتحدث بها بمئات المصطلحات والكلمات الغربية فخرج على الناس بمزيج لغوي مضحك يُرثى له، وهل رأى أحد من الناس مفكراً أو مثقفاً غربياً أو شرقياً يمزج حديثه بمصطلحات وكلمات عربية؟! إنا لله وإنا إليه راجعون.

ـــ وهناك تصورات أخرى لتحصيل الثقافة تقوم على أوهام وتبعية لهذا المعسكر أو ذاك أضرب عنها صفحاً وأكتفي بما أوردته،

لكن الحقيقة هي "انقسام ذوي الثقافة العليا في المجتمعات الإسلامية إلى شطرين:

شطر يحاول المحافظة على الهوية وإحياء دور قيم الإسلام ونظمه في توجيه الحياة.

وقسم يحاول اللحاق بالغرب والتماثل معه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً"(١).

والتحقيق أن الثقافة قسمان:

ثقافة إسلامية وثقافة إنسانية.

وأعني بالثقافة الإسلامية -هنا- ما يتعلق بالدين الإسلامي خاصة، وإلا فالثقافة الإسلامية بمعناها الشامل تتناول جوانب الحياة كلها.

---

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة": ١١٨/٢.

وأعني بالثقافة الإنسانية ما يتعلق بثقافة الأمم والشعوب التي ليست على دين الإسلام.

ـــ فالمثقف إذا أطلق -إذن- إنما هو المثقف بالثقافة الإسلامية، والمتحصن من شبهات وضلالات الثقافات الأخرى مهما اطلع عليها وأبحر فيها، وهو -أيضاً- المطلع على جوانب من الثقافة الإنسانية العامة لا غنى له عنها، فلابد من تحقق الأمرين معاً.

وها هنا يبرز سؤال: هل يكفي في وصف مسلم ما أنه مثقف إذا اكتفى بالثقافة الإسلامية؟

والجواب هو نعم ولا !!

فإن كانت الثقافة الإسلامية التي درسها وعرفها هي ثقافة اهتمت فقط بالإسلام وأهله دون التعرض لثقافات الأمم والشعوب السابقة واللاحقة وعلاقتها بأمة الإسلام، وعدائها أو سلامها معها،

ولِـــما أنتجته قرائح تلك الشعوب في المجالات الثقافية العديدة مما كان له أثر مباشر على حكم العالم والتحكم فيه كالديمقراطية وهيئة الأمم ومجلس الأمن وصندوق النقد والبنك الدولي، وطرائق حياتهم المؤثرة على حياتنا، إن كانت الثقافة الإسلامية التي درسها المرء لا تتعرض لهذه القضايا فأرى -والله أعلم- أن دارسها المقتصر عليها لا يعد مثقفاً بهذا الإطلاق لمفهوم الثقافة.

أما إن كانت الثقافة الإسلامية التي درسها الشخص هي ثقافة شاملة لما ذكرته مع بيان الجوانب الخاصة بالثقافة الإسلامية المحضة أي التي تدرس الإسلام دراسة عامة في جميع جوانبه التي لها تعلق واضح بحياة المسلمين المعاصرة فإن درس الشخص الثقافة على هذا النحو فلا ريب -عندي- أنه يعد مثقفاً، وإن كابر في ذلك المكابرون الذين لا يرون في الثقافة إلا الاطلاع على ما عند الغرب والشرق[١].

---

(١) المشكلة -اليوم- أنه قد كثير الحديث عن الثقافة والمثقفين، وأكثر المتحدثين عنها بمعزل عن الثقافة الصحيحة كما بينت ذلك في متن الكتاب آنفاً، وتجد مجلات تصدر باسم الثقافة وليس لها من الثقافة -بمفهومها الذي ذكرته آنفاً- إلا الشيء القليل، وهناك منتديات تعقد باسم الثقافة والمثقفين،=

وهذا يسوق البحث إلى التعرض للحديث عن الثقافة الإسلامية بمفهومها الشامل لجوانب الحياة كلها سواء ما يتعلق منها بالإسلام والمسلمين أو بالكفر والكافرين، وما يتعلق بهم مما أسميه الثقافة الإنسانية.

أما الثقافة الإنسانية العامة فلابد من الإحاطة بشيء منها حتى يُعد المرء المسلم في جملة المثقفين، قال د. أكرم العمري:

"إنه لابد للمثقف المسلم من التصور الشامل للحياة المعاصرة: سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً؛ إذ ينبغي أن يُهيأ ليكون عنصراً

وأكثرها على الحال الذي ذكرته آنفاً، وبين يدي مشروع أطلق على "الانترنت" باسم "الاتحاد العام للمثقفين العرب" نادت بإنشائه الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب وأظنه سيعاني من المشكلة نفسها وهي أن أكثر المثقفين المنتسبين إليه سيكونون بمعزل عن الثقافة الشاملة التي لابد منها -عندي- لكل مثقف مسلم، وهذه مسألة شائكة حاولت أن أعالجها في هذا المبحث، فقد استفحل= أمر المتحدثين باسم الثقافة والمثقفين في عالمنا العربي والإسلامي وأكثر هؤلاء لا صلة لهم بالثقافة بمفهومها الشامل الذي بينته هنا.

قيادياً في المجتمع، فلا يُمكن أن يُعزل عن مشاكل وأحداث المجتمع الذي سيحتل موقعاً توجيهياً فيه"[١].

وأما الثقافة الإسلامية فلابد من الإحاطة بجملة كبيرة منها حتى يعد المرء في جملة المثقفين، ولسائل أن يسأل:

هل يُعد المرء مثقفاً وهو يعرف الكثير عن ثقافات الغرب والشرق بينما يكاد يجهل أكثر جوانب الثقافة الإسلامية، فأقول: قد يُتسامح مع غير المسلمين ويوصف بعضهم بالمثقفين، لكن المسلم الذي يريد التأثير في مجتمعه بكتاباته وكلامه كيف يكون مثقفاً وهو لم يُحط علماً بثقافة مجتمعه التي بنيت قواعدها على الإسلام، ولا شيء غير الإسلام، ثم قد خالطها الغبش بسبب ضعف تعليم الثقافة الإسلامية وغلبة الثقافات الوافدة، فمثل هذا الجاهل بالثقافة الإسلامية لا يوصف

(١) "التراث والمعاصرة": ١٣٤.

بالمثقف أبداً ولا تسوغ هذه الكلمة لقباً له، فكيف يوصف مسلم ما بأنه مثقف وهو لم يعرف قواعد الإسلام العامة في الحكم والتشريع؟

ومَن لم يطلع على تاريخ الإسلام ولو اطلاعاً أولياً يمكنه من معرفة السنن الإلهية في الأقوام والشعوب؟

وكيف يوصف بالثقافة من لا يعرف كيف يرد الشبهات ضد دينه ويفندها؟

وكيف يوصف بالثقافة من لم يعرف عظمة دينه وسموه وارتقائه فوق كل الأديان المحرفة والمذاهب الوضعية؟

وكيف يوصف بالمثقف من ارتضى لنفسه أن يزدري ثقافة مجتمعه الأصيلة ويذهب ليبحث لنفسه عن ثقافات أقوام وشعوب ضلوا كثيراً وأضلوا عن سواء السبيل؟ قال الدكتور نجيب الكيلاني:

"إن هناك فجوة كبيرة بين علماء الدين والمثقفين في أمتنا، ولن نستطيع أن نقضي على هذه الفجوة إلا بعمل بناء مشترك من الطرفين، فعلى رجال الفكر والثقافة الدينية أن يهتموا بلغة العصر، وأن يقتربوا أكثر من تراث عصرهم واهتماماته وإنجازاته، وعلى المثقفين أن يستكملوا ثقافتهم الدينية والتاريخية، ويتحرروا من الإثم والتهريج ..."(١).

ـــ هذا وإنّ كتابي هذا ليس محاولة لإقصاء الآخرين أو التضييق عليهم في شيء، إنما هو محاولة لإرجاع الأمور إلى نصابها، وتعديل ما يجري اليوم من تسلم غير المؤهلين مقاليد الثقافة وإقامة المؤتمرات والندوات والأندية والمجلات باسمها، وأكثر هؤلاء لا يصلحون أن يوصفوا بالمثقفين، وليس معهم من الثقافة الحقيقية إلا أقل من القليل، والله المستعان.

---

(١) "حول الدين والدولة": ٨٢.

هذا وقد أملى علي فضيلة شيخي وأستاذي سماحة الأستاذ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد -حفظه الله تعالى، ونفع به- ما يلي:

"الثقافة لا تكون ثقافة بمعناها الصحيح المعتمد المؤتمن إلا إذا اعتمدت على أصول ثابتة وثيقة لا تقبل التزييف، وينبغي أن يتقرر في النفس وفي الواقع وفي المحيط الأدبي والثقافي أن الوحي الإلهي هو أصل الأصول في هذا، فإذا أتقنه المثقف على وجهه الصحيح كان مُؤّمَّناً بعد ذلك من الضياع في أعاصير الانحرافات الفكرية، فهو يستطيع أن يقرأ ما يشاء، ويدخل في أغوار أي فلسفة وأي فكر فمعه مصابيح كشافة تجنبه الزلل وتعصمه من الخلل.

وعلى هذا الأساس قام كثير من المفكرين والمثقفين الإسلاميين فخاضوا في غمار الفلسفات والمذاهب والنظريات بعد تأسيسهم الإسلامي الأول، وخرجوا من كل ذلك ولم تصبهم الانحرافات الفكرية الجامحة التي أهلكت ألوفاً من عباقرة الأمم والشعوب".

آلية تحصيل الثقافة بمفهومها الشامل:

وها هنا يثور سؤال مهم هو كالنتيجة لما سبق من مقدمات ألا وهو: كيف يُتحصل على الثقافة بشقيها الإسلامي والإنساني؟

وأقول: لتحصيل الثقافة الإسلامية والإنسانية الصحيحة لابد من أمرين لا يغني أحدهما عن الآخر: القراءة الجادة المطولة، والسماع من الآخرين[1].

ـــ أما السماع من الآخرين فعن طريق حضور محاضرات المشايخ والعلماء والدعاة والمثقفين والمفكرين أو سماعها من الأشرطة المتنوعة، أو الجلوس إلى أولئك في حلقات خاصة محدودة للسماع منهم ومناقشتهم، وهذه وسيلة جادة مهمة، وهي مغنية عن كثير من القراءة لأن فيها توجيهاً وتعليماً من مختصين أصحاب تجارب طويلة.

---

(١) هاتان وسيلتان شائعتان معروفتان، وهما الأصل في آلية تحصيل الثقافة، لكن هناك روافد لتلك الآليتين منها المشاهدة، والمخالطة، لكن هذه الروافد ليست -دائماً- آمنة، فقد يعتريها الغبش وسوء الفهم لأنها مقتصرة على الشخص نفسه ومدى قدرته على الفهم السليم والتحليل المنضبط المتقن.

ــ وأما الوسيلة الأخرى فهي القراءة الجادة المطولة:

بادئ ذي بدء أقول إن أوثق وأحسن طريقة للتحصيل هي القراءة الطويلة الجادة في الكتب والمراجع، وجعل اللقاء بالمشايخ والدعاة أو سماع أشرطة المحاضرات مصدراً ثانياً بعد القراءة، لكنه مصدر مرتِّب منظم للأفكار ولضبط المسار كما ذكرت آنفاً.

أما ما يتناقله الناس من الآراء والأفكار المرسلة بدون توثيق فهذا ينبغي ألا يكون إلا مصدراً من الدرجة الثالثة فلا يُعَرّج عليه إلا لاقتناص بعض الفوائد التي فيه ثم لتوثيقها بعد ذلك.

القراءة الجادة:

أما القراءة فإني لا أعجب لشيء عجبي من قلة إقبال كثير من الدعاة وطلبة العلم والمشايخ والمتصدرين لتوجيه المجتمع على القراءة الجادة المطولة للكتب الفكرية والثقافية التي تجمع لصاحبها بين فهم الواقع على ما هو عليه وبين صلته بعبر الماضي وآمال المستقبل، وهذا ما

أدعوه بالأمية الثقافية؛ إذ إن هؤلاء يكتبون ويقرأون ويتخصصون في تخصصات عديدة لكنهم ليسوا مطلعين -إلا قليلاً- على ما أنتجته المطابع من إعمال القرائح، وكد الذهن، والكتابات المهمة لأساطين الفكر والثقافة والدعوة في العالم الإسلامي.

وهذا الضعف الثقافي والفكري في المجتمع متمثل في الآتي:

١. وجود جيل جديد عمره يتراوح بين ١٨-٣٥ تقريباً لا يكاد يدري شيئاً عن الكتب الفكرية والثقافية، ولم يطلع على ما فيها من كنوز ودرر، فهو لم يقرأ المقدمة الرائعة لكتاب "في ظلال القرآن"، ولم يقرأ الفصول الجليلة في كتاب: "جاهلية القرن العشرين" للأستاذ محمد قطب، أو "المجتمع والتقاليد" للمؤلف نفسه أو "العدالة الاجتماعية في الإسلام" للأستاذ سيد، أو الملفات المهمة لمجلة الأمة القطرية، أو بعض كتابات فكرية وثقافية جيدة لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز، والدكتور محمد

سعيد رمضان البوطي، والأستاذ محمد أحمد الراشد، والأستاذ فتحي يكن، والدكتور محمد المبارك، والدكتور عبدالستار فتح الله سعيد، والأستاذ مالك بن نبي[1]، وغيرهم ممن أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفات جليلة فيها كنوز ثقافية وفكرية ما زال المسلمون بأمس الحاجة إليها إلى يوم الناس هذا وربما -والله أعلم- لأجيال قادمة أيضاً، فمن الغريب أن هذه الكتب لا يكاد الجيل المعاصر يعرف عنها إلا أقل القليل، ولا يقتنيها ولا يكاد يصنع، وفي هذا جحود كبير لعمل هؤلاء العظماء، واستهانة بصنيعهم، وتضييع لجهودهم، وخذلان لهم، وقد رأيت جمعاً كبيراً من الدعاة لا يكادون يعرفون شيئاً عن الكتب الفكرية والثقافية ومؤلفيها، أما طلبة العلم والعلماء والمشايخ ممن يجهلون هذه الكتب فهم كثرة كاثرة.

(١) لبعض هؤلاء الكتاب الفضلاء الذين ذكرتهم بعض آراء سطروها في بعض كتبهم لا أوافقهم عليها، ولا أرى إلا أنها زلة قلم نشأت من عجلة في التقرير أو سوء في النظر أو غير ذلك، وهذه الآراء يعرفها المطلعون على الحركة الفكرية والثقافية اطلاعاً جيداً، لكن لا يفهمن أحد من كلامي هذا أنه طعن لهؤلاء أو إنقاص من شأنهم كيف وأنا أراهم صفوة المفكرين والمثقفين.

٢. ضعف الاطلاع على الأفكار الواردة في الكتب الثقافية والفكرية، وضعف الإلمام بما فيها، وهي تمثل عصارة وخلاصة مهمة جداً لمدة طويلة من الزمان، بغض النظر عن مدى جودها وصحتها، فذلك له مجال آخر.

والفرق بين هذا الذي أوردته هاهنا وبين ما أوردته في الفقرة الأولى أن الفئة الأولى لا تكاد تسمع بهذه الكتب ولا تقتنيها، بينما هذه الفئة سمعت بهذه الكتب واقتنتها لكنها لم تطلع عليها اطلاعاً جيداً.

٣. ضعف المناقشة الجادة لتلك الأفكار، والسؤال عما ورد فيها من جوانب قوة أو ضعف، أو عما فيها من صحة أو خطأ، وهذه الفقرة ناتج واضح عما ورد في الفقرة السابقة.

٤. الاهتمام المبالغ فيه بالكتب التي تعالج القضايا الإيمانية والسلوكية والخلقية والاجتماعية وهي -مهمة ولاشك- وإغفال الكتب التي تتحدث عن الجانب الفكري والجانب الثقافي إغفالاً تاماً أو شبه تام.

ولقد خالطت كثيراً جداً من الدعاة والعلماء وطلبة العلم والمشايخ على مدار ثلاثين سنة تقريباً في بلاد كثيرة فرأيت فيهم مخايل الضعف الثقافي والفكري، وينقسم صنيع هؤلاء الدعاة والعلماء في الجانب الثقافي والفكري إلى أقسام أربعة في ظني، هي:

١. الإعراض الكلي عن كتابات عظماء المفكرين والمثقفين، فتجد الواحد من هؤلاء لا يكاد يطلع على كتاب لمفكر أو مثقف مهما كان هذا الكتاب مهماً ومؤثراً في الأجيال، وهذا منهم عجيب؛ إذ الانصراف التام عن هذه الكتابات المؤثرة يورث هشاشة في التفكير، وضعفاً في التقرير، وعجزاً جزئياً أو كلياً عن فهم ما يجري في المجتمعات الإسلامية وغيرها من متغيرات سريعة.

٢. الاطلاع الجزئي والعارض والسريع على بعض تلك الكتابات في مدد متباعدة، فهذا الصنيع يشبه ويقارب صنيع الذين ذكرتهم في الفقرة السابقة، وآثاره تشبه آثار ذلك الصنيع.

٣. الاطلاع الواسع الجيد في أوائل العمر وفي شدة الشباب، فإذا تقدم بهم العمر وشغلتهم الأحداث فإنهم يكادون ينقطعون عن قراءة الجديد النافع المفيد، وهؤلاء أحسن حالاً من الفريقين السابقين؛ إذ إنهم أنشأوا لأنفسهم قاعدة ذهنية جيدة يبنون عليها ما يستقبلهم من أفكار، لكنهم لانقطاعهم عن تتبع الجديد النافع فقد ضعف لديهم الوعي الثقافي والفكري وعليهم الرجوع إلى شيء مما كانوا عليه من القراءة الجيدة والتتبع النافع للناتج الثقافي.

٤. وهناك فئة قليلة أقبلت على القراءة النافعة المفيدة وجعلتها جزءاً من برنامجها لا تحيد عنها ولا تتركها، فعظمت ثقافتها وارتقى فهمها، وهذه الفئة هي التي يعول عليها في بناء المجتمع فكرياً وثقافياً على أسس سليمة.

وأخيراً أقول:

إنه لابد من الاهتمام بتحبيب القراءة إلى كل أفراد المجتمع المسلم، والاهتمام بالأطفال -خاصة- وتعويدهم حب القراءة منذ نعومة أظفارهم وبدايات تميزهم، فإن لم نصنع هذا ستظل المشكلة قائمة، وستظل الأجيال في معزل عن القراءة وحبها والغوص في الكتب وإطالة القراءة فيها كل يوم، وعلى هذا فإن ثقافتها ستكون ضعيفة أو مبتورة ناقصة شوهاء، والله أعلم.

المبحث الخامس: طرائق بناء الثقافة

ـــ **أما الخطوات اللازمة** لبناء هذه الثقافة الشاملة عند المسلم المعاصر فهي في ظني كالتالي[١]:

١.تقوية الإيمان وتصحيح العقيدة:

لابد لمريد الثقافة أن يكون قوياً في إيمانه، صحيح العقيدة، حسن التصور للعلاقة بين الدنيا والآخرة، وهذا الإيمان وتلك العقيدة يعصمانه من الزلل والضلال إذا نظر في العلوم والمعارف وأقبل عليها في مراحل رحلته الطويلة لتحصيل الثقافة المنشودة.

(١) كل العلوم التي سيأتي ذكرها على أنها شرط لتحصيل الثقافة الإسلامية الصحيحة إنما أريد منها القَدْر الذي بتحصيله يُطلع على هذا العلم وتُعرف وتُفهم، وليس التعمق فيه بشرط إنما أريد المبادئ والعموميات لا التفصيلات والقواعد التي لا تهم -ربما- إلا المتخصصين.

ولقد رأى الناس جماعات من مريدي الثقافة قد نهلوا واغترفوا من علوم الآخرين لكنهم لم يسلموا من تبعاتها الفكرية الضالة؛ وذلك لما كانوا عليه من ضعف في الإيمان، وخلل في العقيدة، وخلط في التصورات، فهرولوا وراء الدعوات الضالة، وكانوا بلاء على أمتهم، والأمثلة في ذلك كثيرة قديماً وحديثاً.

ومصطلح "الإيمان" هو الذي ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة رضي الله عنهم وكلام التابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم، رحمهم الله تعالى، أما مصطلح "العقيدة" فلم يظهـــر -فيما أعلم- إلا في القرن الرابع، وهي ما عقد القلب العزم على الإيمان به إيماناً جازماً لا يخالطه ريب ولا شك، ومصطلح "الإيمان" أعظم وأفضل من مصطلح "العقيدة" وذلك لأسباب، منها:

ـــ أنه هو الذي ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار وأقوال السلف الصالح رضي الله عنهم ورحمهم.

ـــ أنه أدل على المراد وأشمل في التناول وأعم من مصطلح "العقيدة"، فيما اصطلح عليه الناس اليوم واستقر من استعمالهم، فالإيمان علم صالح لجميع الناس وهو لهم نافع مفيد، لكن "العقيدة" علم يكاد يكون مقصوراً على طلبة العلم لما فيه من تأصيل وقواعد وضبط، وأخذ ورد، وحل مشكلات، ومناقشة شبهات، والرد على الفرق، وهذا كله من شأن طلبة العلم لا من شأن غيرهم، أما الإيمان فهو علم مستقى من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ويخاطب الفطرة ويوقظها، ويُظهر آثار الإيمان في الأقوام والشعوب، ويبرز مضار الإلحاد أو ضعف الإيمان، ويورد الشواهد والقصص الجليلة والأخبار المنيفة، وهذا -على هذا الوجه- صالح لكل طبقات الناس -تقريباً- وهو الذي ينبغي أن تربى الأجيال عليه ويستقون ثقافتهم منه.

ومن الكتب المهمة في باب الإيمان:

١. "الإيمان" للأستاذ محمد نعيم ياسين، وهو كتاب موجز، جامع لما يحتاج إليه المثقف، بلغة سهلة.

٢. "الإيمان" للشيخ عبدالمجيد الزنداني، والكتاب ذو أجزاء ستة، وهو مهم في بابه، ومكمل لكتاب الأستاذ محمد نعيم ياسين في بعض الجوانب التي لم يذكرها.

٣. "الإيمان والحياة" للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي.

وفيه أخبار لطيفة، وقواعد جليلة.

٤. "العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ": سلسلة مهمة من تأليف د.عمر الأشقر. وتتميز بعرض سلس لأصول العقيدة على منهج السلف أهل الحديث، لكن بدون إيغال، وهي مناسبة لمن أراد التثقف بثقافة إسلامية عامة.

٥. "العقيدة الطحاوية" للإمام أبي جعفر الطحاوي.

وهي متن صغير، متفق على مضمونه، وقد شُرح لكن الشرح يصعب على عامة المتثقفين.

٦. "نظام الإسلام: العقيدة والعبادة": للأستاذ محمد المبارك.

٧. "مبادئ الإسلام": أبو الأعلى المودودي.

وهو كتاب موجز لكنه مهم، ومفيد في بابه.

٨. "تعريف عام بدين الإسلام" الشيخ علي الطنطاوي.

وهو كتاب سهل ممتع، تُرجم لعدة لغات.

ـــ وأما من أراد معرفة الفرق والمذاهب والأديان فعليه بكتاب مناسب لمريد الثقافة الإسلامية ألا وهو "الموسوعة الميسرة في المذاهب والفرق والأديان المعاصرة" من إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٢.قراءة كتاب الله تعالى، وقراءة تفسيره:

قراءة كتاب الله تعالى مع التفكر والتدبر والتفهم لمعانيه ومراداته، والوقوف على سنن الله تعالى الواردة فيه، ومعرفة قواعده العامة ومقاصده الجليلة، كل ذلك مفيد جداً في تحصيل الثقافة النافعة:

"لاشك أن أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على الناس ببعثة رسول الله ﷺ ونـــزول القرآن الكريم عليه، وبيانه -عليه الصلاة والسلام- له بسنته، فانتظمت الشريعة الخاتمة أمورَ الدين والدنيا بأكمل وأدق نظام يكفل سعادة البشر في حياتهم الدنيا وآخرتهم، لا يدرك ذلك إلا المثقف المسلم الذي اعتنى بكتاب الله تعالى وتدارسه، وبسنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- وفقهها، فالكتاب والسنة أهم مصدرين لثقافة المسلم؛ فهما يحددان نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، ويمنحانه المقاييس الدقيقة لمعرفة الخير والشر، وعنهما يصدر في كل أعماله وأقواله، وبهما

يحكم على الأفكار والنظريات والنظم والقوانين وكل ما ينتجه العقل الإنساني في مراحل تطوره الطويل.

والمسلم المعاصر يقف أمام مكتبة ضخمة هي نتاج العقول المفكرة في مختلف العصور والأماكن، تضم ما خلفته الحضارات العالمية في التاريخ الغابر، وما يضيفه المفكرون والمعاصرون في مختلف المجالات الفكرية والعلمية، وكثير من هذا النتاج يتعلق بالعقائد والنظم والأفكار والفلسفات، فلو انغمر المسلم وسط هذا الركام قبل أن ينال قسطاً وافراً من ثقافة الكتاب والسنة فإن عقله يمتلئ بها، وذهنه يزدحم ويصعب عليه تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر، والسمين من الغث، وقد يتبنى أفكاراً باطلة، ويعتنق عقائد فاسدة، وتنطمس شخصيته الإسلامية وينحرف فكراً وسلوكاً عن الإسلام فيبدل نعمة الله كفراً"(١).

---

(١) "التراث والمعاصرة": ١٣٥-١٣٦.

وهناك كتابان في ظني يساعدان على هذا الاعتراف من معين الكتاب العظيم ولا يستغني عنهما أي طالب للثقافة الإسلامية، وينبغي النظر فيهما طويلاً وقراءهما قراءة متأنية وهما: تفسير الإمام ابن كثير، وكتاب "في ظلال القرآن".

أما الأول ففيه تراث السلف في فهم القرآن وتدبره، وفيه الآثار الجليلة الواردة في التفسير.

وأما "الظلال" فليس هناك في الأرض كتاب موضوع في التفسير مثله لمن يريد تحصيل الثقافة الإسلامية في جانبها القرآني، ففيه تدبر جليل جداً، وربط لسنن الله في الكون بواقع المسلمين بل الناس أجمعين، وماضيهم ومستشرف مستقبلهم، وفيه معالجة اجتماعية رائعة، ولفتات إيمانية ليس لها نظير، في رأيي، والله أعلم.

وإن احتاج المثقف أن يفهم شيئاً من علوم القرآن وقواعده فليقرأ كتاباً سهلاً جيداً للشيخ مناع القطان -رحمه الله تعالى- وعنوانه "مباحث في علوم القرآن".

ــ أما آداب قراءة القرآن فيرجُع فيها إلى كتاب "التبيان" للإمام النووي رحمه الله تعالى، وهو كتاب موجز جيد.

ــ وأما تجويد القرآن وحسن قراءته فلابد من الأخذ عن الشيوخ المتقنين، وهناك كتاب جيد في هذا الباب وهو "حق التلاوة" للأستاذ حسني شيخ عثمان.

ــ والحد المعتدل في ختم القرآن الذي يلائم أكثر الناس هو ختمه مرة كل شهر مع التفهم لمعانيه والتدبر لمقاصده.

٣. الاطلاع الجيد على أبحاث الإعجاز:

معرفة إعجاز القرآن العظيم، والوقوف على أسراره الجليلة، ومعانيه الدقيقة، ومعرفة أنواع الإعجاز الواردة فيه وفي الحديث النبوي

الشريف، كل ذلك معين على تحصيل الثقافة الجيدة، ومعرفة الإعجاز طريق إلى تفهم وتدبر القرآن العظيم، وهو من ثَم وسيلة لخطاب المسلمين وغيرهم، وكذلك معرفة الإعجاز الوارد في الحديث النبوي الشريف.

وللتعجيب من حال المسلمين فإنه ليس هناك كتـــاب شامـــل -على وجه مُرْضٍ- لأبحاث الإعجاز التي ابتدأت بداية علمية جادة منذ قرابة ثلث قرن!![١] لكن البحث في شبكة المعلومات "الانترنت" عن الإعجاز سهل ميسور تكفلت بعرضه مواقع تند عن الحصر، لكن على المطلع الابتعاد عن الاستشهاد بأبحاث الإعجاز التي لم تُبحث من مصدر موثوق، أو أنها موثقة لكنها ما زالت في دائرة النظريات و لم تثبت.

---

(١) هناك كتاب عن الإعجاز صدر في الثلث الأول من سنة ١٤٣٠/٢٠٠٩ من تصنيف الدكتور عبدالله المصلح والدكتور عبدالجواد الصاوي، وهو كتاب منهجي يصلح أن يُدرس لطلاب الجامعات، وفيه بعض الأبحاث الجليلة، وهو كتاب مفيد، إن شاء الله تعالى.

وللدكتور زغلول النجار -حفظه الله تعالى- بعض الأبحاث والمقالات المنشورة حول الإعجاز العلمي. وللشيخ عبدالمجيد الزنداني -حفظه الله تعالى- كتابات حول الإعجاز العلمي وهذه وما قبلها منشورة في مواقع في الإنترنت.

٤.الاطلاع على قدر مناسب من سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه المشرفة:

أحاديث رسول الله صلى اله عليه وسلم وسيرته الشريفة المطهرة عون لكل طالب للثقافة، مريد لها، كيف لا وهي التي تظهر وتوضح أعظم وأخطر مرحلة من مراحل تاريخ الإسلام، وفيها من القواعد والضوابط والأحكام والتشريع والعبر ما لا يمكن أن يستغني عنه مثقف ما.

ـــ أما الأحاديث فيوصى بقراءة الأربعين النووية مع شرح ميسر لها وهناك شروح كثيرة سهلة ميسورة فليتخير أحدها.

وكتاب "رياض الصالحين" للإمام النوويّ.

وهو من الكتب الجليلة التي فيها قدر وافر من أحاديث رسول الله ﷺ وقد قيل إن "رياض الصالحين" هو أكثر الكتب طباعة في تاريخ الإسلام بعد المصحف الشريف، وقد طبع بلغات كثيرة.

وكتاب "الأذكار" للإمام النووي أيضاً.

وكان يُقال عنه لجلالته: بع الدار واشتر الأذكار.

ـــ ثم مهما استطاع المرء أن يقرأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طريق إلى خير كثير، وثقافة جليلة.

وليقرأ في موضوع رد الشبهات عن سنة رسول الله ﷺ ومعرفة جلال وعظمة رواتها ودقة عملهم كتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي": د. مصطفى السباعي.

وكتاب "حجية السنة" للدكتور عبدالغني عبدالخالق.

فهذان الكتابان مفيدان في باب رد الشبهات عن السنة ومعرفة جلال وعظمة طرائق نقلها إلينا.

وأما السيرة المطهرة فلابد للمثقف من قراءتها كلها، ومن خير كتبها: سيرة ابن هشام، وهو كتاب لعبد الملك ابن هشام (ت ٢١٨)

وهو كاتب ابن إسحاق صاحب السيرة المشهورة لكن سيرة ابن إسحاق قد فقد أكثرها، أما سيرة ابن هشام التي هذبها من كتاب أستاذه فقد بقيت، فسبحان الله العظيم، يفعل ما يشاء، ويقضي ما يريد.

وكتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم وهو من خير ما ألف في السيرة.

وكتاب "فقه السيرة" للأستاذ الغزالي، وذلك لما يحويه من عاطفة دفاقة وأسلوب أدبي جميل[١].

وكتاب "الرحيق المختوم" للمباركفوري، وهذا لمن عجز عن قراءة سيرة ابن هشام.

وكتاب "الشمائل المحمدية" للإمام الترمذي.

---

(١) وفيه ملاحظة مهمة حول الأخذ بالأحاديث الصحيحة ذكرتها ورددت عليها في كتابي "ضوابط في عرض السيرة النبوية المشرفة".

وهو خاص بصفات النبي ﷺ الخِلْقية والخُلقية.

وكتاب "السيرة النبوية: دروس وعبر" للدكتور مصطفى السباعي، وهو كتاب موجز جداً، يصلح لمن ضاق وقته عن قراءة بعض ما أوردته آنفاً.

٥.الاغتراف من الفقه بقدر الحاجة:

إن المثقف المسلم بحاجة إلى معرفة ما يجب عليه وجوباً عينياً "فرض عين" وما يجب عليه وجوباً كفائياً "فرض كفاية"، فيجب عليه معرفة كيفية الطهارة والصلاة والصيام والزكاة -إن كان عنده مال- والحج إن كان مستطيعاً، فهذه لا يعذر في جهل وجوبها، ولا يسوغ له جهل بعض تفاصيلها.

وإن كان تاجراً وجب عليه معرفة ما يتعلق بتجارته ومعاملاته المصرفية.

وإن كان عاملاً في حقل الإعلام وجب عليه معرفة ما يجوز له شرعاً بثه والحديث عنه وما لا يجوز.

وإن كان طبيباً وجب عليه معرفة حدود ما يطلع عليه من العورات إلخ ...

ولو رجع المثقف إلى كتاب "فقه السنة" للأستاذ سيد سابق - رحمه الله تعالى- لأغناه في هذا الموضوع عن كثير من المطولات التي قد تصعب على غير المتخصصين.

٦.معرفة أصول الأخلاق والتربية الإسلامية:

إن معرفة المثقف بأصول الأخلاق والتربية الإسلامية أمر مهم وجليل، خاصة في هذا العصر الذي اضطربت فيه معايير الأخلاق اضطراباً بيناً، وتنوعت مشارب التربية وطرقها.

وهناك عدة كتب في هذا الباب منها:

"دستور الأخلاق في القرآن" للدكتور محمد عبدالله دراز، رحمه الله، وهو كتاب كتب بالفرنسية وتُرجم إلى العربية، ويوصف بأنه من الكتب الجامعة في هذا الموضوع.

و"خلق المسلم" للأستاذ محمد الغزالي.

وهناك سلسلة مهمة ألفها الأستاذ يوسف القرضاوي في هذا الباب.

وكتاب "جند الله أخلاقاً" للشيخ سعيد حوى.

وكتاب "الآداب الشرعية" لابن مفلح الحنبلي.

وقد جمع جملة من كلام السلف وآثارهم في هذا الباب.

وكتاب "منهج التربية الإسلامية" للأستاذ محمد قطب.

وكتاب "نضرة النعيم": د. صالح بن حميد.

وهو كتاب جليل، مفيد في الإحاطة بما ورد في الكتاب والسنة بشأن الخلق المتحدث عنه.

وكتاب "الأخلاق الإسلامية" للأستاذ عبدالرحمن حَبَنّكة.

٧.الاطلاع على تاريخ التشريع في الإسلام وطرائق الحكم:

الوقوف على طرائق الحكم في الإسلام وتاريخ تشريعاته، وسماحتها، وانتفاء الحرج منها أمر مهم؛ خاصة في هذا العصر الذي تعددت فيه الشرائع وطرائق الحكم، وخاض الناس كثيراً في هذا الباب وتحدثوا فيه طويلاً، بل أُورد على هذه المسألة شبهات كثيرة.

وليُقرأ في هذا الباب "تاريخ التشريع": للأستاذ مناع القطان.

وهو كتاب سهل التناول، ميسور العبارة، على عادة الشيخ - رحمه الله تعالى - في كتبه.

وكتاب "الحكم والدولة": للأستاذ محمد المبارك.

وكتاب "نظرية الإسلام وهديه في السياسة والدستور": أبو الأعلى المودودي.

وكتاب"الفرد والدولة في شريعة الإسلام": د.عبدالكريم زيدان.

٨. الوقوف على الشبهات المثارة ضد الإسلام والمسلمين:

وهذا أمر مهم ومطلوب لكن ليس على سبيل التعمق لكن من باب فهم الشبهة وفهم طريقة الرد عليها بإيجاز وقوة وثقة.

ويعجبني في هذا الباب كتاب "شبهات حول الإسلام" للأستاذ محمد قطب فقد حاول الإجابة عن شبهات عديدة كانت مثارة قبل ٣٠-٤٠ سنة تقريباً حين ألف الكتاب لكن ما زال أكثرها موجوداً يثار من وقت لآخر، وقراءة هذا الكتاب وتفهمه يعين المرء على التعرف على طرائق رد الشبهات التي تثار في كل حين.

هذا وكان الأستاذ في طبعة الكتاب الخامسة قد قدم بمقدمة ذكر فيها أنه كاد ألا يسمح بطبع الكتاب طبعة جديدة؛ لأنه يرى أن الإسلام ليس في قفص اتهام حتى توجه إليه الشبهات ويقوم أهله بالدفاع والرد بل الإسلام أقوى من هذا وأعظم، وهذا صحيح لكني أرى -والله أعلم- أن الكتاب مهم، وجليل في بابه، ومن الأفضل أن يطبع مرة بعد أخرى تتلقفه الأجيال التي تريد معرفة منهج رد الشبهات على وجه صحيح، وميزة هذا الكتاب أنه موجز، وهذا مهم في هذا العصر الذي قلت فيه الرغبة في القراءة والإقبال عليها إلى درجة خطيرة(١).

وهناك كتب كثيرة تحدثت عن الشبهات وردها إما على العموم أو تناولت شبهة بعينها.

---

(١) حاولت في هذا البحث أن آتي بالكتب المشهورة المعروفة المتداولة حتى يسهل اقتناؤها، وإذا ذكرت كتاباً غير موجود في بلد القارئ فعليه بشبكة المعلومات فأغلب ظني أنه واجده.

٩. الاطلاع على تاريخ الإسلام وحضارة المسلمين وثقافتهم:

تاريخ الإسلام مليء بالعبر والعظات، ومليء بالأحداث التي تعرف المرء على سنن الله تعالى في أرضه، وقد عُني الناس قديماً بالتاريخ حتى أن العلماء الكبار كانوا يتنافسون في كتابته، والخلفاء والملوك والأمراء يتنافسون في تحصيله.

والمثقف لا تكتمل ثقافته حتى يطلع على قدر مناسب من التاريخ اطلاعاً صحيحاً من مصادرَ موثوقة، ولابد له أيضاً من الاطلاع على جوانب مهمة من حضارة المسلمين وثقافتهم على مدار التاريخ الإسلامي.

وهناك كتب كثيرة تناولت التاريخ تناولاً شاملاً من بدء الخليقة أو جزئياً من بداية الإسلام، ومن الكتب الشاملة السائغة التي كتبت

بأسلوب سلس مناسب كتاب "البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى.

وكتاب "تاريخ الإسلام" للحافظ الذهبي.

أما الأول فهو أوجز وأشمل في مدته، وأما الآخر فهو أطول لكنه أجود في مادته، وكلا الكتابين يُعد من الكتب التي تفخر بها مكتبة الإسلام.

لكن الكتابين يتناولان من تاريخ الإسلام الثمانية القرون الأولى تقريباً، أما الستة الأخرى فليس هناك كتاب واحد شامل لكل تلك المدة الأخرى لكن هناك عدة كتب يطول على مريد الثقافة تتبعها وقراءتها لكن عليه بكتاب "التاريخ الإسلامي" للأستاذ محمود شاكر ياسين ففيه الكفاية والغنية، لسائر المثقفين.

وإن شاء المزيد فعليه بكتاب "التاريخ الإسلامي" للأستاذ أحمد شلبي.

أما إن أراد الاستزادة فعليه بقراءة الكتب التي ألفت في تاريخ القرون قرناً بعد قرن نحو كتاب "الدرر الكامنة في أخبار المائة الثامنة" للحافظ ابن حجر، وكتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للحافظ السخاوي، وكتاب "الكواكب السائرة بأهل المائة العاشرة" لنجم الدين الغَزي وهكذا الخ ...

وأما العبر والعظات التاريخية فيوجد قسط وافر منها في كتاب:

"التاريخ الإسلامي: مواقف وعبر" للدكتور عبدالعزيز الحميدي.

والسؤال الذي قد يرد هاهنا هو: هل يجب على كل مريد للثقافة أن يقرأ تلك المطولات؟

وأقول: لا، لكن يكفيه اقتناء بعضها، والاطلاع على العناوين العامة والفرعية، وقراءة ما يجهله تماماً من الحوادث الكبيرة المهمة، فهذا في ظني كافٍ لغير المتخصصين، وإنما قلت هذا لأن العمر لا يكفي لقراءة فاحصة لتلك المطولات، ولا ينبغي إهمالها بالكلية أيضاً بل الأمر بين بين؛ ويقبح بالمثقف ألا يكون مطلعاً على تاريخ الدولة العثمانية مثلاً، أو دولة صلاح الدين ، أو دولة المماليك، أو دول المغرب، وغيرها وهي تواريخ مهمة أثرت في تاريخ العالم كله مدة طويلة.

ولابد من التحذير هاهنا من فصول معينة من كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للحافظ الإمام محمد بن جرير الطبري، فكتابه مهم ونافع لكنه أورد فيه جملة كبيرة من الأخبار الموضوعة والواهية، ويعظم البلاء حين يتحدث عن الفتنة التي وقعت بين أهل الصدر الأول من تاريخ الإسلام، فلذلك ينبغي الحذر التام عند قراءة تلك الفصول، ومن المعلوم

أن المستشرقين عُنوا بهذا الكتاب وطبعوه في أواخر القرن التاسع عشر لما فيه من شبهات كثيرة هي عمادهم في الطعن في دين الإسلام وعظمائه.

ــ وليقرأ طالب الثقافة التاريخية والحضارية كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" للأستاذ أبي الحسن الندوي.

وكتاب "من روائع حضارتنا" للدكتور مصطفى السباعي.

وكتاب "الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادئها" لأبي الأعلى المودودي.

وكتاب "الحضارة العربية" للأستاذ محمد كُرْدْ علي، مع اعتراضي على تسميتها بالعربية، فهي حضارة إسلامية صنعها العرب وغيرهم من سائر المسلمين، لكن الكتاب جليل ومفيد.

١٠. الاطلاع على تاريخ العالم:

يحسن بمريد الثقافة أن يطلع على التاريخ العالمي، فيعرف تواريخ الدول المؤثرة في العالم قديماً وحديثاً كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا، والهند، والعلاقات بينها وبين المسلمين.

ويطلع على تاريخ الحروب الصليبية وسببها -وإن كان هذا الاطلاع جزءاً مما أوردته في الفقرة السابقة- وأن يطلع على أديان تلك الشعوب وشيء من عاداتها وحضاراتها، بدون غلو في الاطلاع ولا تطويل.

وليس هنالك فيما أعلم كتاب جامع مؤلف في هذا الباب، لكن يستعاض عنه بالموسوعات المطولات التي ذكرت أشياء كثيرة مما ذكرته آنفاً، على أن كثيراً مما عرض فيها إنما يعبر عن رأي كتابها، وأكثر تلك الموسوعات غربية المصدر لذلك عرضت فيها المعلومات

على هيئة غير منصفة في بعض الأحيان، فليحذر من هذا، وعلى رأس تلك الموسوعات "الموسوعة البريطانية" على خبط فيها وخَلْط.

وهناك كتاب لنور الدين حاطوم تحدث فيه عن تاريخ أوروبا لكن بمنظور قوميّ.

١١. الاطلاع على التاريخ الحديث:

وأعني به تاريخ القرنين الأخيرين القرن الثالث عشر والرابع عشر/ التاسع عشر والعشرين خاصة القرن الماضي: الرابع عشر/ العشرين، إذ فيه تكونت معظم الدول تكوناً سياسياً نهائياً، وفيه جرت حربان عالميتان، وفيه احتُلّ العالم الإسلامي كله -تقريباً- ثم تحرر من نير الاستخراب العالمي، وفيه تكونت الجماعات الإسلامية، وفيه تكونت معظم الهيئات والجمعيات العالمية والإسلامية، لذلك كانت القراءة في تواريخ وأحداث ورجال ذلك القرن من المهمات التي لا غنى لكل مثقف عنها.

وليس هناك كتاب جامع لأحداث التاريخ الحديث لضخامتها وكثرتها كثرةً تُعجز كل من أراد الإحاطة بها كتابة، لكن لابد مما ليس منه بد، وعلى مريد الثقافة أن يقرأ شيئاً عن كل تلك الأحداث لأهميتها البالغة ولتأثيرها الكبير في مجريات الحياة المعاصرة، وهأنذا أورد بعض الكتب المفيدة في هذا الباب:

١. "حاضر العالم الإسلامي" والكتاب لمؤلف أمريكي يُدعى لوثروب ستودارد، والكتاب موجز لكن عليه تعليقات نفيسة جداً للأمير شكيب أرسلان ضاعفت حجم الكتاب أضعافاً مضاعفة.

٢. "حاضر العالم الإسلامي" للدكتور علي جريشة، والكتاب أكثر جِدّة من سابقه.

٣. سلسلة "مواطن الشعوب الإسلامية" للأستاذ محمود شاكر.

٤. "حصوننا مهددة من الداخل" للأستاذ محمد محمد حسين.

٥. "الاتجاهات الوطنية في الأدب الوطني المعاصر" للأستاذ محمد محمد حسين أيضاً.

٦. كتب المذكرات التي كتبها العظماء، وهي متعددة كثيرة، وفي ثناياها أخبار تاريخية معاصرة كثيرة.

١٢. الاطلاع على النظم العالمية السياسية والاقتصادية والإعلامية ومقارنتها بالنظام الإسلامي:

من أهم الأمور التي ينبغي أن يطلع عليها مريد الثقافة هي كيف يُدار العالم سياسياً واقتصادياً وإعلامياً، والمقارنة بين هذه النظم والنظام الإسلامي:

فمن الناحية السياسية ينبغي أن يعرف المثقف النظام الديمقراطي الغربي الذي انتشر اليوم في أصقاع الأرض وبشر به طويلاً ساسة أوروبا، ويقارن بينه وبين نظام الشورى في الإسلام، والديمقراطية

الغربية فيها جوانب حسنة وجوانب سيئة ليس هذا وقت تفصيلها لكنها كثيرة وخطيرة، والعجب كل العجب من كثير من الدعاة والعاملين الذين ينادون بالديمقراطية ويطالبون بها، نعم هي ملاذ كل واقع تحت الحكم الاستبدادي "الدكتاتوري" لكن إذا طالب أولئك بالديمقراطية وألحوا على المطالبة بها في كل صعيد فلسائل أن يسألهم: وأين النظام الإسلامي السياسي إذن؟ ولماذا لا تطالبون بتطبيقه، وهو سؤال جدير بالوقوف عنده طويلاً، ثم إن تنشئة الأجيال الجديدة على المطالبة المستمرة بالديمقراطية تُلقي في رؤوسهم أنها هي الجنة المنشودة التي يتطلع إليها المسلمون في كل مكان، وفي هذا ما فيه من خطر على الجوانب العقدية والفكرية والثقافية في الأجيال الناشئة، وفيه تضييع لتجربة إسلامية فريدة حدثت في عهد الخلفاء الراشدين وفي بعض المراحل القليلة في تاريخ الإسلام بعد ذلك، هذا من الناحية العملية، أما الجانب النظري فهناك كتابات كثيرة مهمة قديماً وحديثاً في باب

السياسة الشرعية وما ينبغي أن تكون عليه طرائق الحكم في الإسلام، وهذه الكتابات صالحة لتكون نواة مهمة ينبثق منها نظام سياسي متكامل مسطور يحتاج إلى من يبعثه من القبور !!

ومن الديمقراطية تتفرع المجالس النيابية أو مجالس الشعب أو البرلمانات، ومنها تتفرع السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية إلى آخر مكونات النظام الديمقراطي الحديث، فعلى مريد الثقافة أن يفهم هذه الجوانب المهمة، إذ بها يفهم كيف تُدار أكثر دول العالم، وعليه أن يقارن بينها وبين نظام الشورى الإسلامي خاصة والنظام السياسي الإسلامي عامة الذي طال انتظار تطبيقه لتظهر حسناته جلية واضحة لكل ذي عينين.

ـــ ومن الكتب المفيدة في هذا الباب:

"الحكم والدولة": محمد المبارك.

ـــ "معركة الإسلام والرأسمالية": الأستاذ سيد قطب.

ـــ "أضواء على السياسة الشرعية" :د.سعد بن مطر العتيبي.

ـــ "الإسلام وأوضاعنا السياسية": الشيخ عبدالقادر عودة.

ـــ "النظام السياسي في الإسلام": د.مازن مطبقاني.

ـــ "حقيقة الديمقراطية": أ.محمد شاكر الشريف.

ـــ "الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي": أ. عبدالرحمن عبدالخالق.

ـــ "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام": الأستاذ الطاهر بن عاشور.

ـــ"حركات ومذاهب في ميزان الإسلام":الأستاذ فتحي يكن.

ـــ "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ـــ **أما النظم الإعلامية** فينبغي على مريد الثقافة الاطلاع على شيء منها؛ وذلك ليعلم كيف يدير اليهود أكثر الإعلام العالمي، وليطلع على طرق التحكم في وسائل الإعلام وكيف تشوه المعلومات أو تُخفى إذا كانت خاصة بالمسلمين، وليعلم بعض القواعد والضوابط المهمة في هذا الجانب.

ـــ وينبغي للمثقف أن يعلم أن سوق الإعلام العالمي محتكر -تقريباً- من قبل أمريكا، وتشاركها على استحياء بعض دول أوروبا وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا، وهذا الإعلام العالمي يرسل معلومات وأخباراً ومواد إعلامية وترفيهية تندّ عن الحصر، وتهدد دول العالم باجتياح ثقافي مدمر لثقافاتها المحلية.

وفي العيد الخمسين لمنظمة "اليونسكو" قدمت آنا ماريا ديكوك تقريراً موثقاً بالأرقام قالت فيه إن أثرياء المعلومات استخدموا وسائل الإعلام الحديثة لجعل شعوب الدول النامية تحتقر تاريخها وقيمها وتراث بلادها، في إشارة إلى أن الشبكات الفضائية أصبحت حكراً على الأقوياء اقتصادياً وسياسياً[١]:

"إن الدعاية الإعلامية الغربية تتسرب إلى الشعوب المستقبلة بشكل مخادع وماكر يصعب مقاومتها، فهي وإن كانت تشهد على الحيوية الفياضة للمجتمعات المتطورة فإنها تخنق كل محاولة ثقافية خلاقة لدى المستقبلين السلبيين للرسالة"[٢].

---

(١) بحث "الإعلام والهيمنة الغربية" للأستاذ عبدالباسط دردور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية: طرابلس الغرب: العدد رقم ١٩ ص ٣٢٥.

وقد تغير الحال قليلاً الآن، بفضل الله تعالى.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٧.

"وهذا التدفق الهائل من الأخبار والمعلومات -مع مرور الوقت- يمكنه أن يتحكم في رغبات الناس المستقبلين له، وحاجياتهم وأشكال سلوكهم وعقلياتهم وأنظمة التربية الخاصة بهم، وكذلك أنماط الحياة، وأخيراً تستطيع هذه أن تسلب إرادة الشعوب وتقضي على روح المقاومة لديها للنموذج الغربي الرأسمالي"(١).

وهاكم بعض الكتب المغنية في هذا الباب:

ــ "الصحافة والأقلام المسمومة": أ .أنور الجندي.

ــ "الصـــورة النمطيـــة للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي": د.عبدالقادر طاش.

ــ "بحوث في الإعلام الإسلامي": د.محمد فريد عزت.

ــ "أيديولوجيا الإعلام": د.محمد بن سعود البشر.

---

(١) المصدر السابق.

أما النظم الاقتصادية الشائعة وعلى رأسها النظام الرأسمالي الربوي فلابد من الإحاطة علماً بجوانب منه على سبيل الإجمال؛ إذ التفصيل من شأن المتخصصين، وينبغي أن يُطلع اطلاعاً عاماً على طرائق إدارة هذا النظام، وعلى نظام صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكيف تضغط بهما أمريكا وبعض دول الغرب على الدول الفقيرة وكثير منها دول إسلامية، و يُطلع على النظام الربوي المحض الذي يُدار به هذا النظام الاقتصادي، ثم يقارن بين ذلك وبين النظام الإسلامي الاقتصادي الجليل الذي ظهرت بعض جوانب تطبيقه منذ سنة ١٣٩٥/١٩٧٥ بإنشاء مصرف فيصل الإسلامي، وما زال العالم كله منذ تلك السنة إلى يومنا هذا يلحظ الآثار الحميدة لتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في جوانبه المصرفية وغيرها، هذا على أنه لم يُعط الفرصة كاملة للتطبيق، كما هو معلوم، بل التضييق عليه قائم في كثير من الدول الإسلامية، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وللاقتصاد الإسلامي قصة جليلة رائعة ينبغي الاطلاع عليها فهي من جملة نصر الله تعالى للمسلمين في هذا العصر، وهي جزء من أحداث الصحوة الجليلة التي ظهرت في العالم الإسلامي بعد حرب رمضان، أي منذ ثلث قرن تقريباً، وقد كتبت فيها شيئاً سأورد في كتابي الذي أرجو أن أُتمه قبل حلول الأجل: "الصحوة تاريخاً وتقويماً".

وهناك بعض المصادر والمراجع المفيدة في هذا الباب، منها:

"نظام الاقتصاد في الإسلام": أ.محمد المبارك.

"أسس الاقتصاد الإسلامي": أبو الأعلى المودودي.

"العدالة الاجتماعية في الإسلام" سيد قطب.

"الربا والاقتصاد الإسلامي": أبو الأعلى المودودي.

"الاقتصاد الإسلامي: مدخل ومنهاج": د.عيسى عبده.

"خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي": محمد أبو السعود.

"المعاملات المالية المعاصرة": د.وهبة الزُحيلي.

"ما هو صندوق النقد الدولي": أ.محمد حسن يوسف.

١٣. الاطلاع على جوانب من بعض العلوم الإنسانية الحديثة:

وذلك نحو علم النفس والتربية والاجتماع والفلسفة وغيرها، ولابد فيها من قراءة للتصور الإسلامي حولها، وللتصور غير الإسلامي أيضاً؛ وذلك لأنه هو الغالب اليوم المكتسح للساحات العالمية، وإن كان التصور الإسلامي لهذه العلوم قد بدأ في إيجاد موطن قدم له منافس لتلك التصورات المضادة بل وجد قبولاً من كثيرين داخل صفوف المجتمعات الغربية والشرقية.

ولقد ذكر الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي -حفظه الله تعالى- بعض التنبيهات يُنبه بها المطلعون على هذه العلوم فقال:

١. إن هذا اللون من العلوم -مهما قيل فيه- يخضع لكثير من التفسيرات تبعاً للمدارس المختلفة، وتبعاً لتفكير الدارس وثقافته واتجاهه.

٢. إنها ، بناء على ذلك، تتسرب إليها إسرائيليات حديثة -كما تسربت إلى كتبنا من قبل الإسرائيليات القديمة- إسرائيليات مثل فرويد في علم النفس، ودُوْرْكايم في علم الاجتماع، وماركس في علم الاقتصاد.

٣. إن للذاتية فيها مجالاً رحباً للاستنتاج الظني... ولذا تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس، وتنقض في الغد ما تبرمه اليوم، وتهدم مدرسة منها ما تبقيه أخرى، وينفي فيلسوف أو عالم ما يبالغ غيره في إثباته وتأكيده.

٤. إن طريقة العرض والسياق للمادة العلمية -ولو كانت سليمة ولا غبار عليها- تتأثر بعقيدة صاحبها وفكره وثقافته، وتؤثر بالتالي في

قارئها، وهذا واقع في عَرْض العلوم البحتة ذاتها كالفيزياء والأحياء وغيرها، فالمادي يقول: خَلَقَتِ الطبيعة، والمؤمن يقول: خَلَقَ الله، هذا في العلوم التجريبية المحضة فكيف بالعلوم الإنسانية، وهي كما ترى.

ثم ذكر الأستاذ -حفظه الله تعالى- أنه من الواجب أن يعاد صياغة هذه العلوم وأن تقدم بأقلام إسلامية ملتزمة بإسلامها واعية بمتطلباته إلى آخر ما قال[١].

١٤. الاطلاع على بعض الوسائل الإعلامية:

من المهم لمريد الثقافة أن يطلع على جملة من وسائل الإعلام لكن بدون إفراط حتى لا يضيع وقته، فمن ذلك:

أ. بعض المجلات الإسلامية العامة:

(١) "ثقافة الداعية": ١٢٢-١٢٣.

وهذا مهم، بل هو ذو أهمية بالغة؛ وذلك لأن هذه المجلات تتابع تفاصيل الأحداث التي لا يستطاع متابعتها بدونها إلا بمشقة، وهذه المجلات -عادة- يكون لها صلات بمن يأتي لها ببعض خبايا الزوايا والتي لا يستطيع الوقوف عليها عامة الناس، عادة.

ومن أهم المجلات المساعدة في هذا الباب مجلة المجتمــع الكويتية -خاصة بعد تجديدها في السنوات الماضية- ومجلة البيان، ولا يعني هذا أن سائر المجلات لا تصلح لكني إنما ذكرت ما أرجحه على غيره، وأرى -والله أعلم- أن كلتي المجلتين يكمل إحداها الأخرى.

وهناك مجلة "الفكر المعاصر"، وما زالت تصدر.

ومجلة "المسلم المعاصر" وقد انقطع صدورها، وقد كانت تحوي أبحاثاً قيمة.

ومجلة "الأمة" القطرية، وقد انقطع صدورها، وكانت من المجلات البحثية والفكرية الرائدة.

ب. بعض المجلات الثقافية العامة:

وهذه كثيرة مثل "الفيصل"و"العربي" لكن لا تسلم هذه المجلة من خلط واضح في التصورات والمفاهيم مما لا يتوافق مع المنهج الإسلامي الصحيح.

ج. بعض الجرائد اليومية:

ينبغي لمريد الثقافة أن يختار جريدة سيارة يومية من جرايد بلده ليطلع على الأحداث اليومية المهمة، وليختر جريدة تُعنى بالأخبار المحلية وبالأخبار الدولية، ولا أذكر للقارئ أي اسم بل أتركه وما يختار لنفسه، لكن ليحذر من بعض الجرايد التي تدس السم في العسل، وتشوه الحقائق أو تخفيها، وتلوي عنق الأحداث.

د. بعض القنوات الفضائية:

من المهم الاطلاع على بعض القنوات الفضائية التي تفيد في باب إثراء الثقافة وإكمال النقص المعرفي، فمن ذلك:

١. قنوات الأخبار:

وعلى رأسها قناة الجزيرة، لكن يحذر من تسريح النظر في نسائها؛ فإن المسلم مطالب بغض البصر، ولا يُتساهل في شأن الموسيقى بل يسدد المرء في ذلك ويقارب، لكن ما الحيلة وقنوات الأخبار المحترفة المتميزة كلها فيها هذا البلاء! ولو اكتفى المرء بقناة الجزيرة إضافة إلى قناة محلية ليعرف أخبار بلده فإن ذلك كاف إن شاء الله تعالى في باب الأخبار.

وينبغي أن يكون الاطلاع بقدر، ولو نظر فيها ثلاث مرات في اليوم لكان كافياً إلا إن أصاب بلداً ما كارثة فإنه سيحتاج إلى الزيادة

في المتابعة خاصة إن كان البلد إسلامياً كمثل أحداث غزة الأخيرة أوائل سنة ١٤٣٠/٢٠٠٩.

وإنما حذرت من إدمان النظر وكثرة المتابعة لئلا يضيع الوقت الثمين، والله أعلم.

٢. القنوات الإسلامية:

وعلى المرء أن يتخير البرامج النافعة المفيدة في هذه القنوات، أما متابعتها كلها فمما لا يُقدر عليه ولا يُستطاع، وعليه أن يوازن بين مطالب الروح ومطالب العقل حتى لا يختل شأنه بمتابعة شيء واحد من الشيئين، وأمر من الأمرين، فيصبح غير متوازن.

ــ وليحذر متابع تلك القنوات من الموسيقى التي أصبحت بلاء منتشراً في أكثر القنوات الإسلامية، فالأئمة الأربعة على تحريمها، والكثرة الكاثرة من علماء الإسلام على التحريم، بل لم يبحها قديماً إلا

عدد قليل جداً، لكنها أصبحت في هذا العصر أمراً عمت به البلوى، ولا يعني هذا التساهل في سماعها بل ينبغي على المرء أن يغض من صوت التلفاز ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وليحذر المرء أيضاً من تسريح النظر في مذيعات تلك القنوات ومقدمات البرامج والمشاركات فيها؛ فإنه مطالب بغض البصر، ثم إن معظم أولئك النسوة قد لبسن ما صار يُدعى بحجاب "الموضة" الذي ربما زادهن جمالاً وفتنة، والحجاب لم يشرع إلا ليجعل بين الرجال وبين الفتنة بالنساء حاجزاً لكن الله المستعان على فتن آخر الزمان.

وجزى الله القائمين على بعض القنوات الإسلامية الذين منعوا الموسيقى من قنواهم ومنعوا النساء المذيعات والمقدمات من الظهور في قنواهم؛ فإن المرأة لم تخلق لهذا، والله أعلم.

ـــ وليُحذر من بعض البرامج في بعض القنوات الإسلامية التي فيها شطط في الفكر والتصور، وجنوح في معالجة الموضوع المطروح، وجرأة على ثوابت الدين، ومغالاة في إشراك جمهور الحاضرين، ممن لم يكتمل فهمهم للإسلام، و لم تنضج ثقافتهم، والله أعلم.

٣. القنوات الثقافية:

والاطلاع عليها مفيد ونافع في كثير من الأحيان، ففيها برامج تاريخية، وجغرافية، وعلمية إلخ...

ومن القنوات المفيدة:

الجزيرة الوثائقية، والمجد الوثائقية.

ولمن يحسن الإنجليزية هناك بعض القنوات مثل:

NATIONAL GEOGRAPHY, ANIMAL PLANET, DISCOVERY CHANNEL.

ولا تخلو كل تلك القنوات المذكورة -ما عدا المجد الوثائقية- من محاذير يُتنبه منها، قد أوردهما في الفقرة السابقة.

٤. القنوات العامة:

وهذه القنوات يكثر فيها الشر من فسوق وعصيان بإظهار المحرمات والعياذ بالله، وهذا ظاهر معلوم لا يحتاج إلى برهان، فلزم أن يجتنبها المرء حتى لا يتعرض للإثم، وإن كان لابد فاعلاً فليتخير منها بعض برامجها النافعة، وهي قليلة.

١٥. معرفة لغة أجنبية أو أكثر:

إن الإلمام الجيد بلغة أجنبية أو أكثر مفيد في تحصيل الثقافة الجيدة[١]؛ فإن الاطلاع على تراث الآخرين وتاريخهم وثقافاتهم

(١) لكنه ليس شرطاً للمرء حتى يكون مثقفاً وإنما ذكرته في آخر المبحث ترغيباً فيه إن دعت إليه حاجة، والله أعلم.

وحاضرهم بلغتهم مفيد جداً، ولا يغني عنه الترجمة التي تكون متأخرة -في معظم الأحيان- وغير كافية.

وإن الاطلاع على بعض الأخبار والتحليلات المهمة باللغات الأخرى في وقت نزولها يعد أمراً مفيداً في بابه.

ـــ وأظن والله أعلم أن معرفة اللغة الإنجليزية -على وجه يُمَكِّن من متابعة الأخبار وقراءة التواريخ والتحليلات والاطلاع على الثقافة والفنون- كافية في هذا الباب؛ وذلك لأنها تكاد تكون هي اللغة المعروفة في الدنيا كلها اليوم، والمتكلمون بها كثرة كاثرة.

ـــ أما تعلم لغة ثانية سوى الإنجليزية فأمرٌ يعود إلى المرء وما أوتيه من فراغ، وإني لأخشى أن يكون مثل هذا التعلم من باب تضييع الوقت الثمين، ومن باب الترف العلمي، ولقد جربت أن أدرس الفرنسية؛ وذلك منذ سبع سنوات تقريباً: ١٤٢٣/٢٠٠٣، فوجدت

بعد سبع حصص أنه أمر لا يصلح لي لكثرة أشغالي، ولقة الوقت الذي أبذله لتعلم هذه اللغة التي يحتاج تعلمها إلى قراءة وممارسة وخلطة مع بعض المتكلمين بها، وذلك لا أقدر عليه ولا أستطيعه الآن، وحسبي الإنجليزية لغةً ثانية، والله أعلم.

وقد كان للأستاذ محمد عبده رحمه الله تعالى تجربة جيدة في تعلم اللغة الفرنسية، وقد كانت لغة الآداب والفنون في عهده، فعمد إلى تعلمها، وبذل وقتاً في ذلك ، هذا وقد كان مجاوزاً للأربعين من عمره[١]، وتلك همة عالية، وما صنعه ساعده على الاطلاع على الكتب التي صنفت بالفرنسية فاتسع أفقه، وزاد اطلاعه وفهمه.

---

(١) "الأعلام": ٦/٢٥٢.

المبحث السادس: الاطلاع على بعض القضايا المعاصرة المتنوعة[(١)]

وهذا جزء من المبحث الذي قبله، لكني أفردته في مبحث لطوله وأهميته البالغة، وهذه القضايا متنوعة كثيرة لكن حسبي منها أن أورد التالي:

١. قضية فلسطين:

وهي قضية القضايا في التاريخ المعاصر، والجهل بها مؤدٍ إلى الجهل بكثير من القضايا ذوات الصلة، وفهمها فهماً جيداً مؤد لفهم كثير جداً من أحداث العصر الحديث وشخصياته.

---

(١) ربما ذكرت بعض ما له صلة بهذه القضايا فيما سبق لكن لأهميتها أفردتها ها هنا، لكن في الجملة ليس هناك تكرار.

ثم إني سأورد ها هنا بعض القضايا التي رأيت أن لها أهمية بالغة، ولا يعني ذلك أني استقصيت، إنما هو تمثيل فقط.

وهناك كتاب للأستاذ محسن صالح وُصف بأنه من أفضل الكتب التي كتبت في القضية الفلسطينية، وصدر عن دار الزيتونة، واسمه "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية".

وكتاب "الطريق إلى القدس" للمؤلف نفسه.

وكتاب "تاريخ فلسطين الحديث" د.عبدالوهاب الكيالي.

وكتاب "القضية الفلسطينية": أ.محمد عزت دروزه.

وكتاب "القضية الفلسطينية" د.أكرم زعيتر.

وكتاب "جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن" مسعود أبو يصير.

٢.اليهود:

وهي قضية معقدة لها صلة واضحة بالقضية الفلسطينية، لكنها أوسع دائرة وأعم من أن تُحصر في القضية الفلسطينية، ولابد من فهم

أمر اليهود وأحوالهم، لما لهم من تأثير خطير في السياسة والإعلام والاقتصاد في عصرنا الحاضر، والله تبارك وتعالى قد أنـــزل في بني إسرائيل ألف آية!! وهذا -والله أعلم- لأن الله تعالى علم أنه ستكون لليهود دولة في آخر الزمان وستعلو علواً كبيراً، فأنـــزل تلك الآيات التي تبين أحوال اليهود، وطبائعهم، وسوء فعالهم، وعِوَج نفوسهم، حتى يحذرهم المسلمون ويتجنبون مؤامراتهم وكيدهم.

ومن الكتب التي توسعت في ذكر اليهود وتاريخهم وأحوالهم كتاب الدكتور عبدالوهاب المسيري -رحمه الله تعالى- "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية".

ـــ وكتاب "أجنحة المكر الثلاثة" للشيخ عبدالرحمن حسن حَبَنّكة الميداني.

ـــ وكتاب "مقارنة الأديان: اليهودية" د.أحمد شلبي.

ـــ "خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية" عبدالله التل.

ـــ "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٣.التنصير:

وهو عمل دؤوب أدارته الكنائس والحكومات الغربية قديماً وحديثاً، وللتنصير تعلق بالسياسات الاستخرابية للقوى الكبرى في العالم، ومجال عمله دول العالم الإسلامي على وجه الخصوص، وله عمل خارج هذه الدول أيضاً.

وللمنصرين ميزانيات ضخمة جداً وخطط دقيقة خطيرة، ولتطبيقها يستعينون بعدة أمور منها: فقر كثير من الدول الإسلامية، ووجود أقليات نصرانية في بعضها، وعمالة كثير من مسؤولي تلك الدول، وضعف بعضهم، وقلة وعي بعضهم الآخر.

وهناك كتب كثيرة تحدثت عن التنصير، منها:

ــ "أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية": عبدالودود شلبي.

وقد أفاض فيه بالحديث عن التنصير في دول الخليج.

"أجنحة المكر الثلاثة" للشيخ عبدالرحمن حسن حَبَنّكة الميداني.

"الغارة على العالم الإسلامي" ا.ل. شاتليه.

وترجمه الأستاذ محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

والكتاب عبارة عن سرد لمحضر مؤتمر خطير عقده المبشرون لتنصير العالم الإسلامي.

ــ "التبشير والاستعمار": د. مصطفى الخالدي، د.عمر فروخ.

ــ "غارة تبشيرية على أندونيسيا" لأبي هلال الأندونيسي.

٤.الاستشراق:

والمراد به قيام دراسات تتعلق بتاريخ المشرق وواقعه، وقد تناول أكثر المستشرقين بدراساقمم بلاد الإسلام على وجه الخصوص، وإن كانت كلمة الشرق يدخل فيها بلاد الإسلام وغيرها من صينيين وهنود ويابانيين وغيرهم.

والاستشراق حركة قديمة ابتدأت منذ عدة قرون تعاون فيها الكنسيون مع السياسيين، وكان الغرض منها دراسة بلاد الإسلام للتعرف على أوجه القوة والضعف فيها ليتمكنوا من السيطرة عليها وسلب ثرواقما.

وبعض الدراسات الاستشراقية تعود إلى القرن الثاني الهجري[١].

(١) "الموسوعة الميسرة": ١/٦٨٧ .

وقد كان جل المستشرقين غير منصفين، ومتجاملين على الإسلام وأهله، ولم يبرز من المنصفين إلا قلائل على مدار القرون الماضية.

وهناك كتب عديدة تحدثت عن الاستشراق وأهدافه وخططه على وجه موسع، منها:

١. "الاستشراق والمستشرقون": د.مصطفى السباعي.

٢. "أضواء على الاستشراق": محمد عبدالفتاح عليان.

٣. "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي": مالك بن نبي.

٤. "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي": د.محمد البهي.

٥. "الاستشراق": د.مازن مطبقاني.

٦. "بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر": د.مازن مطبقاني.

٥. العلمانية:

والمقصود بهذه الكلمة فصل العلم عن الدين، ولذلك كانت الكلمة الصحيحة للتعبير عن هذا الصنيع هي اللادينية.

ولقد كفرت أوروبا بالدين منذ زمن طويل بسبب ضلال رجال الكنسية، وإلزامهم العقل الأوروبي في زمن نهضته أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي -بل قبلها- جملة من الأمور التي عدوها من صلب الدين وهي مخالفة للعقل وللاكتشافات التي توصل إليها آنذاك، فوجد الأوروبيون أنفسهم في مفترق طريق إما أن يسلكوا سبيل الدين ويكفروا بالعقل، وإما أن يكفروا بالدين ويستمسكوا بالعقل فاختاروا العقل وكفروا بالدين، وجنحوا إلى

الإلحاد، وسلكوا كل مسلك يمكنهم من فصل الدين عن الدولة ويعبر عن ذلك ألفرد هوايت بقوله:

"ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم، والخطأ حليف الدين".

أما في الإسلام فلم يعرف المسلمون هذا الفصام الفكري، ودينهم ليس فيه شيء مصادم للعقل ولا للفطر السليمة، والدين والعقل هما من مشكاة إلهية واحدة، فلما غزا الغرب ديار المسلمين أرادوا أن يقيموا صرائح لهذه اللادينية، ونجحوا في ذلك طويلاً حتى استيقظ العالم الإسلامي في صحوته الأخيرة ونبذ هذا المذهب الضال كما نبذ كثيراً من المذاهب الضالة الأخرى، ولله الحمد والمنة.

والعلمانيون بعضهم قد كفروا بطعنهم في الشريعة وزعمهم أنها لم تعد تصلح للعصر، وبطعنهم في القرآن والنبوة والإسلام، وبعضهم لا

يعد كافراً لكنه ضل بزعمه وجوب فصل الدين عن الحياة وحصره في الشعائر التعبدية.

والعلمانية لها اتجاهات عديدة ومذاهب مختلفة، وهناك كتب موسعة كتبت في هذه القضية، منها:

١. "الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه": د.يوسف القرضاوي.

٢. "العلمانية: نشأتها وتطورها، وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة" د. سفر الحوالي.

٣. "تهافت العلمانية": د.عماد الدين خليل.

٦.التكفير:

وهو أمر قديم، ظهر منذ بدء الإسلام على يد الخوارج في العصر الأول، وكان له أثر كبير جداً في توقف الفتوحات الإسلامية،

وقتل كثير من الأمراء والعلماء والأبطال والقواد، وبقي هذا الفكر في العالم الإسلامي قروناً يخبو تارة ويزدهر أخرى حتى غلب عليه الاندثار فيما بعد القرن الرابع الهجري، و لم يبق له وجود على هيئة منظمة إلا في أماكن وجود الإباضية، وهي فرقة من الخوارج، وهم اليوم منبثون في الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر وعُمان.

ثم عاد التكفير ليبرز في هذا العصر بصورة جارفة عجيبة نتج عنها أحداث هائلة ومؤامرات كثيرة كان لها أثر سيء جداً في إيقاف تقدم الصحوة الإسلامية الرائعة التي ظهرت أواخر القرن الهجري الماضي بسبب الفتن والمواجهات التي جرت بين بعض حكومات العالم الإسلامي وبين حركات التكفير هذه على اختلاف مشاربها ومناهجها.

وكان لهذا الظهور مقدمات وأسباب كثيرة على رأسها تعذيب الدعاة الصالحين في مصر أيام عبدالناصر، فبرزت طائفة من الشباب تنادي بكفر الحاكم وبطانته وجنده وكل من يتعاون معه، ثم تطور أمر

هذا التكفير النظري إلى أن يصبح مؤسسياً على هيئة جماعات مسلحة أحدثت فوضى كبيرة في الساحة الإسلامية إلى يوم الناس هذا، ومن الكتب التي تحدثت عن هذه الظاهرة:

١. "ظاهرة الغلو في التكفير" د.يوسف القرضاوي.

٢. "الحكم وقضية تكفير المسلم": د.سالم بهنساوي.

٣. "الغلو في الدين": د.عبدالرحمن اللويحق المطيري.

٤. "التكفير: جذوره، أسبابه، مبرراته":أ. نعمان السامرائي.

٥. "التكفير والهجرة وجهاً لوجه": رجب مختار مدكور.

٦. "دعاة لا قضاة": الأستاذ حسن الهضيبي.

وهو الكتاب الأول الذي صدر معالجاً لهذه القضية، وكُتب في السجون أيام الهالك عبدالناصر.

٧. "ذكرياتي مع جماعة المسلمين": عبدالرحمن أبو الخير.

وهو كتاب مهم؛ وذلك لأنه تحدث عما جرى عليه عندما انضم إلى جماعة التكفير والهجرة في مصر، والأهوال التي رآها منهم، والضلال الذي كانوا عليه، ثم خلصه الله تعالى منهم بعد لأْي.

٧. الشيعة:

وهو اسم أطلق -في البداية- على المناصرين والمتابعين لعلي رضي الله عنه والحسن والحسين رضي الله عنهما، ثم انقسم هؤلاء انقساماً كبيراً، ودخل فيهم من ليس منهم بغرض جرهم إلى الضلال والبدع الغليظة التي وقعوا فيها بعد ذلك، وكان منهم عبدالله بن سبأ اليهودي.

وللشيعة فرق كثيرة، وبدع غليظة، وبعضها مكفر، وهي من الفرق التي ظهرت في القرن الأول وبقيت إلى يوم الناس هذا.

كان لهم دول لها تأثير في التاريخ الإسلامي ومنها الدولة العُبيدية التي حكمت المغرب ثم مصر أكثر من ثلاثة قرون، ومنها دولة بني بويه التي استولت على مقاليد السلطة في بغداد منذ أوائل القرن الرابع الهجري وصارت الخلافة معها اسماً بلا معنى، ومنها الدولة الحمدانية، ومنها دولة الزيدية في اليمن وطبرستان وجيلان.

وكل الشيعة اليوم مبتدعة ضلال، نسأل الله العافية، لكن الزيدية أخف الشيعة ابتداعاً، ولذلك لا يرضى عنهم سائر الشيعة، والزيدية من أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، وإن كانوا اليوم تجري عليهم ضغوط وإغراءات لنقلهم إلى الرفض المحض.

وهناك اليوم محاولات تجري للتقريب بين السنة والشيعة، والذي أراه أنه لا تقارب عقدياً بيننا وبينهم حتى يعودوا عما هم عليه من ضلال بعيد، أما التقارب في بعض المواقف السياسية والعسكرية فأرى أنه لا بأس به بل قد يكون من مهمات هذا العصر، والله أعلم.

ولتفصيل شأن الشيعة وما هم عليه من اعتقادات بدعية، وأحوال شيطانية يرجع إلى كتب كثيرة، منها:

١. "دراسات في الفرق" :د. صابر طعيمة.

٢. "مختصر التحفة الاثني عشرية": الأستاذ محب الدين الخطيب.

٣. "الخطوط العريضة": الأستاذ محب الدين الخطيب.

٤. "الملل والنحل": الشهرستاني.

٥. "التقريب بين السنة والشيعة": د.ناصر القفاري.

٦. "الشيعة والسنة": الشيخ إحسان إلهي ظهير.

٧. "الشيعة وآل البيت": الشيخ إحسان إلهي ظهير.

٨. "الشيعة والتشيع": الشيخ إحسان إلهي ظهير.

٩. "المذاهب الإسلامية": الشيخ محمد أبو زهرة.

١٠. "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٨. التصوف:

التصوف حركة دينية ابتدأت في أوائل القرن الثالث الهجري تقريباً، وقامت تدعو إلى الزهد في الدنيا، والانغماس في العبادة، والبعد عن الترف، ثم انتشرت بعد ذلك انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي كله، ولهم اليوم وجود كبير أغلب أقطار العالم الإسلامي.

وقد مرت الصوفية بأطوار ثلاثة:

الطور الأول:

طور التأسيس والانتشار، على يد أئمة زهاد كبار كانوا من أكابر السلف، ومن أهل السنةو الجماعة، أمثال الجنيد البغدادي وأحمد ابن أبي الحواري، ومعروف الكرخي.

ــ وقد كانت الصوفية في هذا الطور منضبطة إلى حد كبير بضوابط الشرع، بعيدة –تقريباً- عن البدع، ولكلام أهلها حلاوة وطُلاوة ووقع في النفوس وأثر جليل.

الطور الثاني:

هو الذي ابتدأ فيه التصوف بالبعد عن الكتاب والسنة قليلاً، وابتدأت البدع بالظهور والانتشار في صفوف الصوفية، وقَلّ فيهم العلماء الكبار الذين يضبطون التصوف بضوابط الشريعة.

الطور الثالث:

هو الطور الذي خالطت فيه الصوفية بدع غليظة -بعضها مُكَفِّر- وأفكار خطيرة مثل الحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود، وقد حارب الصوفية الصادقون هذا التيار الناشئ في بدايات القرن الرابع الهجري، ولم يكن له حظ من الانتشار بفضل الله تعالى ثم لقوة العلماء

ومكانتهم آنذاك، ولحرص الحكام على قمع تلك الاتجاهات الباطلة الضالة، لكن هذا الاتجاه هو الذي تغلب بعد ذلك، منذ بدايات القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي خاصة، وساعده على الانتشار الجهل الكبير الذي انتشر في صفوف المسلمين والأمية التي تفشت، والاستخراب العالمي واحتلال بلدان المسلمين، فقد شجع الاحتلال كل صوفي قاعد، ضال، مبطل، مثبط.

لكن هذا لم يمنع بقاء بعض الفرق الصوفية التي كانت طاهرة من هذه الأدران -وإن كان فيها بعض البدع- مثل السنوسية والنقشبندية اللتين تحملتا عبء التربية والجهاد في سبيل الله تعالى في أحلك الأوقات وأصعبها.

ـــ والكلام في الصوفية يطول جداً، لكن يُرجع في تفصيل شأنهم وأحوالهم إلى الكتب التالية:

١. "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" المجلد ١٠،١١.

هذا وقد كان شيخ الإسلام معظماً لكبار الصوفية الأوائل أمثال الجنيد وعبد القادر الجيلاني، رحمه الله تعالى.

٢. "دراسات في التصوف": إحسان إلهي ظهير.

٣. "التصوف في ميزان البحث والتحقيق": عبدالقادر حبيب الله السندي.

٤. "حاضر العالم الإسلامي" لوثروب ستودارد وتعليق الأمير شكيب أرسلان.

٥. "الموسوعة الحركية": الأستاذ فتحي يكن.

٦. "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٩. العولمة:

وهي قضية كبرى، وتقسم إلى عولمة ثقافية وفكرية وعولمة سياسية، وعولمة اقتصادية، وعولمة إعلامية، وعولمة اجتماعية، فهي إذن قضية تتناول وجوه الحياة كلها تقريباً.

والعولمة هي الأمركة تقريباً، فأمريكا اليوم تقود أمركة الشعوب حتى يرضوا بثقافتها -على وجه الخصوص- بديلاً عن ثقافتهم وطرائق حياتها عوضاً عن طرائق حياتهم، ومصطلح العولمة لم ينتشر إلا بعد انفراد أمريكا بتوجيه دول العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي الهالك.

والمقصود بالعولمة هو: سيطرة وغلبة ثقافة من الثقافات على جميع الثقافات الأخرى، بُغية الهيمنة وسلب خيرات الشعوب لصالح تلك الثقافة.

ولضمان ذلك فإن العولمة تسلك طريقين:

التسلط الثقافي لاحتواء الثقافات الأخرى، والسيطرة الاقتصادية لصالح الشركات التجارية العملاقة[١] فالعولمة صورة جديدة يراد لها أن تكون مقبولة لاحتلال جديد يجتاح العالم الإسلامي.

والعولمة ظهرت بسبب أربعة أمور:

١. تحرير التجارة الدولية.

٢. تدفق الاستثمارات الأجنبية.

٣. الثورة المعرفية.

٤. تعاظم أثر الشركات المتعددة الجنسيات[٢].

وهناك بعض البحوث والكتب التي كتبت في "العولمة" منها:

---

(١) موقع "عيون العرب".

(٢) منتديات "الساخر".

١. "العولمة وصراع الحضارات": د.جعفر شيخ إدريس.

٢. "العولمة بين منظورين": أ.محمد أمحزوين.

٣. الموقف من العولمة: د.زيد الرماني.

٤. كتاب "مخاطر العولمة على الأسرة عالمياً وإسلامياً وعربياً وسبيل الوقاية والعلاج": د.صلاح سلطان.

٥. وكتاب "المسلمون والعولمة": أ.محمد قطب.

١٠. الغزو الفكري:

والمراد به: هو مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة[١] وبعبارة أخرى هو:

---

(١) "موقع كلمات".

"الجهد البشري المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه، ولتذليل قياده، وتحويل مساره، وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتياً إذا أمكن، وهذا هو أقسى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للمغلوب، وإن كان -في نفس الوقت- هو أقصى درجات نجاح الغزاة"(١).

ولقد حاول الغرب أن يهدم العالم الإسلامي عسكرياً بحملات صليبية متتابعة، فلما أخفق في ذلك عمد إلى تغيير تفكير العقل المسلم، وتوصل إلى ذلك بسيل من الشبهات والشهوات رسخها بحرابه التي غزا بها العالم الإسلامي منذ أواسط القرن الحادي عشر إلى يوم الناس هذا.

وقد استعانوا في غزوهم هذا بوسائل كثيرة، منها المدارس ووسائل الإعلام من جرائد ومجلات وإذاعات وتلفاز، وفي هذا العصر

---

(١) "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام": للدكتور عبدالستار فتح الله سعيد: ٢١.

القنوات الفضائية، ومنها الكتب بلغات المسلمين المختلفة، وغير ذلك من الوسائل.

وللغزو الفكري آثار خطيرة مدمرة في المجتمعات، والحديث عنه يطول جداً، وقد تكفل بالحديث عنه بتوسع كتب كثيرة منها:

١. "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام": د.عبدالستار فتح الله سعيد.

٢. "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا":، للأستاذ محمود شاكر، الأديب المصري.

٣. "وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي": د.حسان محمد حسان.

٤. "الغزو الفكري وسبل مواجهته": الأستاذ علي جريشة.

٥. "حصوننا مهددة من داخلها": د.محمد محمد حسين.

٦. "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر": د. محمد محمد حسين.

٧. "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالفكر الغربي": د.محمد البهي.

٨. "الفضائيات والغزو الفكري": د.محمود الرضواني.

١١. المرأة المسلمة:

قضية المرأة المسلمة قضية خطيرة، وذلك لما للمرأة من تأثير بالغ في المجتمعات المسلمة المعاصرة.

ولقد حاول الاستخراب العالمي عندما احتل كثيراً من بلاد الإسلام أن ينقض عرى الفضيلة فيها وأن يقوض دعائمها، ومن أهم العوامل التي عمل على استخدامها في خطته تلك هو العامل النسوي،

فقد أنشأ جمعيات نسائية مشبوهة المقاصد والمناهج، وشجع النسوة المنحرفات فكرياً على تولي مقاليد الأمور النسوية، وشجع السفور وتبرج الجاهلية، ولم يكن الوعي في المجتمعات الإسلامية آنذاك -عموماً- قادراً على فهم كثير من تلك المؤامرات، ولم تكن الجهود المبذولة لمقاومة هذا الأمر كافية للوقوف أمام ذلك المد الجارف، فكانت النتيجة أن تردى وضع المرأة المسلمة في أكثر البلاد الإسلامية وضعف وعيها، وقل فهمها لدينها، ولم تعد قادرة على إحسان تربية أولادها ورعاية بيتها، في الأغلب، وانتشر السفور انتشاراً عجيباً حتى أن المرء كان يسير في شوارع القاهرة وبغداد وكثير من عواصم الإسلام فلا يكاد يرى فتاة واحدة محجبة!! حتى ظهرت الصحوة المباركة في أواخر القرن الماضي بفضل الله ومنته.

وهناك جوانب كثيرة عن المرأة المسلمة تكفلت ببيانها كتب كثيرة جداً، منها:

١. "عودة الحجاب": د.محمد أحمد إسماعيل المقدم.

٢. "قضية تحرير المرأة": الأستاذ محمد قطب.

٣. "مكانك تحمدي": الأستاذ أحمد محمد جمال.

٤. "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر": د. محمد محمد حسين.

٥. "الحركات النسائية في المشرق وصلتها بالاستعمار": د.محمد فهمي عبدالوهاب.

٦. "شخصية المرأة المسلمة": محمد علي الهاشمي.

٧. "المرأة بين الفقه والقانون": د. مصطفى السباعي.

٨. "الحجاب": أبو الأعلى المودودي.

٩. "تفسير سورة النور": أبو الأعلى المودودي.

١٢. سيرة عظماء الإسلام:

من المهم أن يُلم المثقف بسيرة عظماء الإسلام قديماً وحديثاً؛ وذلك لأنهم ثروة جليلة، عملت طويلاً على نصرة الإسلام العظيم، وقدمت وضحت، وكانت سيرتها مشعلاً للأجيال في كل زمان ومكان، يحيي الله تعالى بهم القلوب، وترتقي بسيرهم الهمم.

وأيضاً هم الذين يُعدون نجوم الأمة وعظماءها التي تفتخر بهم، ولكل أمة وشعب في الأرض نجوم تفتخر بها وتعتز، فلابد للمثقف – إذن- أن يطلع على تواريخ هؤلاء وسيرهم.

ومن الكتب المناسبة في هذا الباب كتاب "سير أعلام النبلاء" للحافظ الذهبي فهو كتاب من ذهب، والكتاب يتعرض لسير كثير من عظماء القرون الثمانية الأولى.

أما باقي القرون من الثامن إلى الخامس عشر فهناك كتب كثيرة جداً لكن ليس هنالك كتاب جامع مناسب لهذه المدة المهمة، وعسى الله أن يقيض لهذه الأمة من يجمع لها تاريخ عظمائها.(١)

١٣. اللغة العربية:

هذه اللغة هي لغة القرآن العظيم، ولغة نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولغة سلف الأمة العظام، لذلك فإن تعلمها ليس من باب تعلم سائر اللغات إنما هو من باب ازدياد الفقه بالإسلام العظيم، والفهم للكتاب الكريم والسنة النبوية المشرفة المطهرة، ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يتعلمها، وهي سيدة اللغات وأجلها وأعظمها.

ولقد قامت في العصر الحديث حملات كثيرة على هذه اللغة من قبل الاستخراب الذي وطئت أقدامه الدنسة كثيراً من بلاد العرب

---

(١) قد تحدثت عن هذه القضية في المبحث الخامس: القضية التاسعة.

والإسلام، ومن قبل المنبهرين بالحضارة الغربية، ومن قبل بعض الذين لا يقدرون هذه اللغة ويرون أن زمانها قد ولى.

فينبغي على المثقف أن يعرف أهمية هذه اللغة العظيمة، ويجتهد في تعلمها والتخاطب بها في المحافل الرسمية وشبه الرسمية، وأن يعرف المؤامرات التي حيكت ضدها، وأن يربي أولاده وأهله على الاعتـــزاز بها، وهناك كتب تحدثت عن هذه القضية، منها:

١. "اللغة العربية ومكانتها بين اللغات": د.فرحان السليم.

٢. "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية": نجم الدين الطوفي الحنبلي.

٣. "الارتباط بين اللغة والدين": د.كامل ولويل.

٤. "أمالي الدلالات": د.عبدالله بن بيه.

٥. "تجربتي في تعليم الطب بالعربية": د.زهير السباعي.

٦. "العقل اللغوي": ابن عقيل الظاهري.

٧. "حصوننا مهددة من داخلها": محمد محمد حسين.

٨. "مقالات في الأدب واللغة له قضايا ومشكلات لغوية": أحمد عبدالغفور عطار.

٩. "اللغة العربية في مواكبة التفكير العلمي" د.محمد سويسي.

١٠. "أهمية تعلم اللغة العربية": د.عبده بدوي.

١١. "اللغة العربية والنهضة القومية": المجمع العلمي العراقي.

١٢. "مستقبل اللغة العربية": د.أحمد نعمان.

١٣. "تاريخ الدعوة إلى العامية": د.نفوسة زكريا.[١]

ـــ وينبغي -أيضاً- للمثقف أن يقتني معجماً جيداً ليرجع إلى ما لا يعرفه من العربية، ويكفيه في هذا الباب -إن لم يكن من أهل الاختصاص- "المعجم الوسيط" الذي وضعه مجمع اللغة العربية في مصر.

١٤. شبكة المعلومات "الانترنت":

شبكة المعلومات "الانترنت" وسيلة للتواصل فُتحت لعامة الناس في هذا القرن الجديد، وهي وسيلة فريدة جليلة، يتوصل بها المرء لما يريده من معلومات في كل جوانب الحياة تقريباً، وكذلك فإن الجهل بها

(١) من الكتاب الثاني إلى الكتاب الثالث عشر استفدتها من الأستاذ الدكتور عادل باناعمه -جزاه الله خيراً-.

وعدم التعامل معها أو ضعف الاستفادة منها يُعد ضعفاً واضحاً في باب الثقافة.

فلابد للمثقف -في ظني- أن يعرف كيف يستفيد من هذه الوسيلة، وكيف يصل إلى ما يريده منها.

وهناك دورات كثيرة رخيصة الثمن تعقد لمدة أيام معدودات لتعليم طرائق التعامل مع الحاسب عامة والانترنت خاصة، فإن التحق بها مريد التعلم نفعته سريعاً، إن شاء الله تعالى.

١٥. المذاهب الفقهية:

هي مدارس أربع: الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، بحسب ترتيب الظهور، وقد نشأت نسبةً إلى أصحابها ورؤوسها الأئمة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠) ومالك بن أنس (ت ١٧٩)

ومحمد ابن إدريس الشافعي(ت ٢٠٤) وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، وقد كان أولئك الأئمة من المكانة العلمية والتقوى والورع إلى غاية مكنتهم من قلوب الناس، وجعلتهم يلتفون حولهم، وقد كان لهم تلاميذ عظماء نجباء نشروا علمهم وتناقلوا مسائلهم، ثم صار لهؤلاء التلاميذ تلاميذ وهلم جرّا حتى أصحبت تلك المذاهب بمسائلها مدارس يُرجع إليها ويُجتمع عليها، وبقيت إلى يوم الناس هذا.

هذا وقد كان هنالك مذاهب أخرى بقيت مدداً متفاوتة لكنها كلها انقرضت ولم يبق إلا هذه المذاهب الأربعة.

وأصول هذه المذاهب كلها معتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة رضي الله عنهم من قول وعمل، ولهم بعد ذلك أصول متفاوتة في القوة والترتيب، وللتفصيل في شأن هذه المذاهب وأصولها، وأماكن انتشارها، وكتبها المعتمدة، وأئمتها الكبار يُرجع إلى الكتب التالية:

١. "تاريخ الفقه": الأستاذ محمد علي السايس.

٢. "تاريخ المذاهب الإسلامية": الشيخ محمد أبو زهرة.

٣. "تعريف عام بالعلوم الشرعية": د. محمد الزحيلي.

٤. "نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها": العلامة أحمد تيمور باشا.

٥. "رفع الملام عن الأئمة الأعلام": شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٦. الجماعات الإسلامية وحركات الإصلاح:

هي جماعات دعوية، مهمتها الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وهي كلها مندرجة تحت لواء أهل السنة والجماعة، ولها أهداف وخطط تعمل على تنفيذها، وتتفاوت هذه الجماعات في تأثيرها وانتشارها.

وقد نشأت هذه الحركات والجماعات منذ القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وتعاظم مد إنشائها في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، وهذه الجماعات والحركات الإصلاحية المعنية هي:

١. دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، وتأثر بها كثيرون في العالم الإسلامي.

٢. السنوسية في ليبيا وبعض بلدان افريقيا.

وكان لها جهد مشكور في مقاومة الاستخراب الإيطالي.

٣. الإخوان المسلمون في مصر، وتأثر بها كثيرون جداً في العالم الإسلامي، وما زال لهم صدى واسع في العالم كله.

٤. الجماعة الإسلامية في الهند وباكستان.

٥. جماعة أنصار السنة في مصر والسودان.

٦. الجماعة الشرعية في مصر.

٧. جماعة التبليغ والدعوة في الهند وباكستان.

٨. جماعة التحرير، ونشأت في الأردن.

ـــ ولكل تلك الجماعات والحركات الإصلاحية انتشار واسع، وتأثير كبير، وهي باقية إلى يوم الناس هذا.

وفيها كلها ميزات جليلة، وقليل من النقائص لابد لها من معالجة، وهي تتفاوت في ميزاتها ونقائصها تفاوتاً معتبراً، والله أعلم.

ـــ ولهذه الجماعات أفكار نفذت إلى عقول وقلوب أقوام آخرين فقاموا بإنشاء جماعات أخرى متأثرة بأفكار تلك الجماعات، لكن يصعب الحديث عنها بالتفصيل في مقام موجز كهذا، ويُرجع في شأن كل تلك الجماعات إلى الكتب التالية:

١. "الطريق إلى جماعة المسلمين" : الأستاذ حسين بن محسن بن علي جابر.

٢. "الموسوعة الحركية" : الأستاذ فتحي يكن.

٣. "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٤. "الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية": د.عبدالله عزام.

١٧. الجهاد في سبيل الله:

ليست هناك قضية تثار اليوم ضد المسلمين مثل قضية الجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد هو بذل الوسع واستفراغ الطاقـــة في إيصـــال دعوة الله تعالى للكافرين، ولقد أثار حولها أعداء الإســـلام شـــبهات

كثيرة، وردد بعض بني قومنا بعض هذه الشبهات أو كلـــها في غفلـــة شديدة أو عمالة أكيدة، ومما أثاره أعداء الإسلام حول هذه المسألة مـــا يلي:

أ. ادعاء انتشار الإسلام بالسيف أو الإكراه على الدين:

فهذه فرية رددوها كثيراً، وإنما دينهم هو الذي انتشر بالسيف ابتداءً من قسطنطين الذي تبنى النصرانية محرفة مختلطة بالوثنية، ونشـــر هذا التحريف في أوروبا الشرقية بقوة السيف، وما أعمال كولمبوس في أمريكا، وأعمال الإسبان والبرتغال في أمريكا الجنوبية، والإسبان ومـــن بعدهم الأمريكان في الفلبين، والفرنسيين والألمان والانجليز وغيرهـــم في إفريقيا، ما أعمال كل هؤلاء وغيرهم في نشر النصرانية بالسيف بخافية عنا، وليست منا ببعيدة، ويصدق في هؤلاء المثل العربي: "رمتني بدائها وانسلت"؛ وذلك لأنه لم يثبت في التاريخ قط أن المسلمين نشروا دينهم بالسيف، ولا أنهم أجبروا أحداً على الدخول في دينهم، ولـــئن ســـأل

سائل ما هذه المعارك التي جرت بين المسلمين وغيرهم منذ فجر الدعوة وما بعد ذلك ؟ فأقول إن الأمر سهل لمن تأمله، فالإسلام نزل غضـــاً طرياً، وأمر الله تعالى رسولـــه صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الرسالـــة: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[1] ولم تكن هناك وسائل لإبلاغ الدعوة سوى وسيلة الاحتكاك المباشر بالشعوب والأقوام لعرض رســـالة الإســـلام عليهم، ولما كان ذلك متعذراً إلا بإذن حكام أولئك الشعوب فقد توجه المسلمون إليهم بالشروط الثلاثة المعروفة:

١. الإسلام فيصيرون إخواناً لنا، لهم مالنا، وعليهم ما علينا.

٢. أو الجزية، وهي رمز للخضوع والسماح للمسلمين بـــدخول بلادهم والتعريف بالإسلام.

٣. أو الحرب، وذلك حتى تزول القوة العسكرية التي تحول بـــين المسلمين وبين الشعوب، فإذا زالت هذه القوة ودخل المســـلمون

(١) سورة الحجر: آية ٩٤.

البلاد فليس لهم أن يجبروا أحداً على اعتناق دينهم، وهـــذا هـــو الذي سار عليه المسلمون في معاركهم.

وبهذا تجتمع الآيات المطالبة بالجهاد والآيات التي تقضي بأن لكل دينه، وهذا في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(١) وقوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(٢) مع قوله تعالى -على سبيل المثال- ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾(٣)

ب. الزعم بأن الجهاد إنما هو إرهاب:

---

(١) سورة الكافرون: آية ٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

(٣) سورة التوبة: آية ٢٩.

أدخل أعداء الإسلام في نفوس وقلوب الكثيرين أن الجهاد إنمـــا هو إرهاب، ويستوي في ذلك جهاد الطلب وجهاد الـــدفع ومقاومـــة الأعداء، أما جهاد الطلب فقد تحدثت عنه في الفقرة الســـابقة، وأمـــا جهاد الدفع فقد اتفقت الشرائع والقوانين والعقول أن العدو إذا دهـــم بلداً وجب على أهله المقاومة والدفع، ومن سمى ذلك إرهاباً فقد أخطأ من وجهين:

الأول: أن الإرهاب ليس مذموماً دوماً، فالله تعالى قد قـــال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾[1]، والإرهاب المذموم إنما هو الاعتداء بدون حق على الأنفس والممتلكات، والإرهاب المحمود ما كان فيه الردع والزجر للكافرين عن الولوغ في ديار الإسلام.

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.

الآخر: ليس هناك حتى الآن تعريف واضح للإرهاب، وإنما هو مطية تمتطيها القوى الدولية ليحققوا أطماعهم وأغراضهم، والخلط بين المقاومة والإرهاب إنما هو وسيلة خبيثة لمحاصرة المقاومة الجهادية وإنهائها.

جـ. الادعاء بأن الجهاد إنما هو من أجل السيطرة على الشعوب وثرواتها وتجهيلها:

وهذا جهل فاضح؛ فالمسلمون لم يجاهدوا قط من أجل الدنيا ومتاعها، ولا من أجل السيطرة والبغي والعدوان، ولا يعد الإسلام هذا جهاداً، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[1] والإسلام أبقى أهل البلاد المفتوحة في بلادهم وبساتينهم ولم يغصبهم إياها، وسمح لهم بمزاولة شعائر دينهم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

ومن أكبر الأدلة على وجود العامل الإنساني في الجهاد الإسلامي، وأنه إنما شرع لغرض جليل أن الشعوب التي فُتحت بلدانها أسلمت قيادتها للمسلمين، بل دخلت في دين الله أفواجاً كما هو معلوم، بل إن الذين لم يقبلوا الإسلام ديناً ارتضوه لغة وحضارة وثقافة؛ إذ أين اللغة القبطية اليوم ؟ وأين اللغة الفينيقية والآشورية والكلدانية ؟ قد هجرها أهلها واتخذوا من العربية لغة لهم، وهذا لفرط إعجابهم بها وبأهلها، بينما دخل المستخربون الفرنسيون إلى الجزائر، وعاثوا فيها الفساد وخربوها مائة وثنتين وثلاثين سنة، فكم تنصر من أهلها ؟ إنما هم بضعة آلاف تحت مطارق الترهيب ونواعم الترغيب، ولما خرجوا خرجوا غير مأسوف عليهم، وهذا حدث تقريباً في كل بلد وطئه الاستخراب العالمي، فالفارق بين الجهاد الإسلامي والغصب الاستخرابي "الاستعماري" كبير جداً بل ليس هناك مقارنة.

١٨. فتن آخر الزمان:

قد كثر الحديث في الآونة الأخيرة -الثلاثين سنة الأخيرة تقريباً- عن أخبار آخر الزمان، والفتن التي ستظهر، وعلامات الساعة الصغرى والكبرى، وقد كانت أحداث الحرم ١/١/١٤٠٠هـ /١٩٧٩م وظهور ما سُمي خداعاً بالمهدي بداية حقيقية للخوض الطويل في أحداث آخر الزمان وفتنة وأشراط الساعة، وظهرت بعد ذلك كتابات كثيرة تحدد موعد غيام الساعة بالشهر والسنة!!! وفي هذا خلل عقدي واضح، وضعف في التصور الشرعي، وخرج علينا من يحدد لنا وقت ظهور المهدي، ووقت ظهور الدجال إلى آخر تلك التُرّهات.

وقد جمعني مجلس ببعض هؤلاء سنة ١٤١٢ تقريباً/ ١٩٩٢ فإذا بكبيرهم يقول: لقد ظهر "بيل" الذي تحدثت عنه التوراة!

فقلت له: أيّ "بيل" هذا؟

فقال: بيل كلينتون!!

فقلت له: إن اسمه ليس "بيل" بل وليام، وهذا هو اسم آخر أُطلق عليه تخفيفاً، ثم هل نأخذ أخبار الغيب من التوراة المحرفة المكذوب أكثرها؟!

ثم أفاض الحاضرون في ذكر هذه الخزعبلات وحاولت أن أبين لهم وجه الحق دون جدوى.

وأعرض بعض الإخوة كانوا يسكنون في جدة فشاع أن هنالك هَدّةً ستكون في جدة في رمضان سنة كذا!! فخرج من جدة هارباً إلى المدينة النبوية المنورة ليسكن فيها طالباً السلامة!! وكل تلك الأحاديث والأخبار المزعومة في تحديد وقت الفتن الكبرى ووقت ظهور المهدي أو الدجال لا يجوز تداولها ولا الخوض فيها؛ فهي من أخبار الغيب الذي استأثر الله تعالى به، والمطلوب من المسلم أن يعمل ويجتهد في عمارة الأرض والدعوة إلى الله تعالى والعمل لدينه فإن جاءت الساعة أو

أشراطها العظام وهو حي فقد صنع ما ينبغي أن يصنع، وإلا فقد كُفي، والله أعلم.

وما أحسن قول أحد السلف -وأظنه سفيان الثوري- لما سُئل عن المهدي فقال: لو مَرّ على باب بيتك لا تكن منه في شيء حتى يبايعه الناس، فرحمة الله على أولئك فهم أهل الفقه والفهم.

ومن الكتب المهمة في هذا الباب:

١. "موقف أهل السنة والجماعة من تنـــزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث: السفياني أنموذجاً": أ.زاهر الشهري.

٢. "خدعة هرمجدون": د.محمد أحمد إسماعيل المقدم.

وفي ختام هذا المبحث أشير إلى الآتي:

١. لابد بعد اكتساب الثقافة من الاطلاع المستمر والقراءة الدائمة من أجل الحفاظ على مستوى ثقافي جيد:

"إن التغير الثقافي المتسارع وتراكم المعلومات الخيالي جعل تقزيم أي مثقف أمراً سهلاً وميسوراً بشرط أن يكف لمدة عن النمو المناسب والتفاعل الحي مع معطيات الثقافة المتجددة"[١].

٢. من أجل بناء ثقافة جيدة ومناسبة لابد من "الصبر والأناة والإتقان في تكوين الخلفية الثقافية ... هذه الخلفية تحتاج إلى قراءة موسوعية مزجية في آن واحد[٢].

ومعنى ذلك أن المرء كي يعد مثقفاً فلابد له من تحصيلٍ جادٍ على مدار سنوات طويلة اقدرها بعشر سنواتٍ.

---

(١) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي": ٣/٥٥.

(٢) "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي": ٣/٦٤.

المبحث السابع: عقبات أمام انتشار الثقافة الإسلامية

إن هنالك عقبات عدة تحول بين الناس وتثقفهم بالثقافة الإسلامية، منها:

١. الاتجاه الفكري السائد في بعض الدول العربية والإسلامية:

إن هنالك دولاً ما زالت تصر على الارتباط بمذاهب وضعية أرضية حتى بعد ثبوت إخفاقها عن تحقيق شيء ذي بال، وهذه الدول ليس من مصلحتها أن تنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بين مواطنيها، فلذلك هي لا تدرس الثقافة الإسلامية للطلاب، وتمنع كتباً كثيرة من التداول وتجرِّم قراءتها، وهذا من أكبر العقبات، وإذا علمنا أن بعض هذه الدول ليس فيها شبكة للمعلومات "الانترنت" إلى يوم الناس هذا، أو أنها ضعيفة جداً وغير متوافرة للجميع فسيطول عجبنا، وسيعظم أسفنا على حال أولئك الأقوام في تلك الدول وما صاروا إليه من انعزال عن

مصادر الثقافة الإسلامية الأصيلة، وتضييع لهويتهم الإسلامية؛ فإن الثقافة تُستقى من الكتب والأشرطة -وهي عندهم ممنوعة- أو الانترنت وهو ممنوع أيضاً أو ضعيف جداً، فكيف سيكون حال تلك الشعوب إذن؟

٢. حرب الأعداء لهذه الثقافة الإسلامية:

إن الأعداء يعلمون تمام العلم مواطن القوة والعظمة في هذه الثقافة الإسلامية لذلك فإنهم يحرصون كل الحرص على محاربتها بشتى الوسائل حتى يمنعوا وصولها إلى الجيل الجديد وإلى سائر الناس، فتـــارة يحرضون الدول أو -يضغطون عليها- لإلغاء تدريس بعض الآيات والأحاديث والموضوعات من المناهج الدراسية، كما فعلت أمريكا عقب الهجوم غير المسبوق عليها في أرضها في أحداث أيلول/سبتمبر ١٤٢١/٢٠٠١.

وتارة يمنعون بعض الأشخاص المؤثرين في باب الثقافة الإسلامية من التنقل أو الظهور في وسائل الإعلام.

وتارة يرمون بالشبهات جوانب من هذه الثقافة.

وتارة يزينون للأجيال ثقافات أخرى على غير هدى هذه الثقافة الإسلامية ويغدقون على من اتبع منهم ما يزينونه له عطايا وهبات ومنحاً.

وتارة بتشجيع الأفاكين من أبناء هذه الأمة وبناتها الذين ربوا على عين الغرب وفي وعاء ثقافته، فيُشجعون على الطعن بجوانب عديدة من الثقافة الإسلامية، وهؤلاء مثل سلمان رشدي وتسليمة نسرين البنغلاديشية، وإيان هيرسي الصومالية.

إلى آخر وسائل هذه الحرب التي تحارب بها الثقافة الإسلامية صباح مساء.

٣.قلة المطروح على الناس من برامج ثقافية إسلامية جادة في القنوات الفضائية وسائر وسائل الإعلام:

إن أكثر القنوات الفضائية الإسلامية توغل في الأمور الإيمانية والتعبدية والرقائق والشعائر والجوانب الروحية، أما جوانب الثقافية الإسلامية الأخرى فعناية أكثر القنوات -إسلامية أو غير إسلامية- بها ضعيفة أو معدومة، وأنا أتحدث عن القنوات السارية بين الناس والتي تحوز على قبول أكثرهم.

وهذه علة كبيرة في هذه القنوات وعيب واضح فيها، وذلك أنها تنشئ الأجيال على غير التوازن المطلوب إحداثه في المجتمع، وتربيهم على العناية بجانب وإهمال جانب آخر، وهذا فيه خطر عظيم على مسار الأجيال القادمة ولابد من تصحيح لهذا الحال.

ولما كانت القنوات الفضائية هي أقوى وسيلة إعلامية في هذا العصر فسيزداد الخطر على الأجيال في التنشئة غير المتوازنة، وفي ظل غياب الثقافة الإسلامية الشاملة لجوانب الحياة كلها.

٤. وجود كثير من المسلمين أقليةً في وسط أكثرية كافرة:

إن من أكبر العقبات أمام انتشار الثقافة الإسلامية الصحيحة هو كون المسلمين قلة بين أغلبية كافرة؛ فإن هذا مما يؤثر عليهم وعلى مصادر تلقيهم تأثيراً بيناً.

ولاشك أن وجود المسلمين في بيئة لادينية أخف من وجودهم في بيئة دينية متشددة، فإن المسلمين في أوربا وأمريكا -على سبيل المثال- يتعرضون لهجمة ثقافية ضخمة من قِبَل الثقافة الغربية، لكنها تبقى ثقافاتٍ تتسم بالتسامح النسبي، لكن المسلمين الذين يعيشون في الهند -على سبيل المثال- معرضون لثقافة استئصالية، شديدة التأثير،

إضافة إلى التعصب الهندوسي الشديد ضد المسلمين مما أدى لهدم عدد من مساجدهم، ومنعهم من ذبح البقر في أحيان كثيرة، ومنعهم من حقوق لهم تمثل لهم أركاناً في الثقافة الإسلامية، بل تعريضهم لمذابح ومجازر، وهذا فيه خطر شديد على المسلمين وثقافتهم ما لم يتنبه إلى ذلك عظماؤهم ومقدموهم ويضعوا الحلول المناسبة لمقاومة هذه الثقافة الهندوسية الجارفة.

أذكر أني لما زرت الهند سنة ١٤٠٧/١٩٨٦، عرّجت على ندوة العلماء وبت فيها ليلة، واستمتعت بالجلوس إلى الشيخ الأستاذ أبي الحسن الندوي، رحمه الله تعالى، ثم لما أردت السفر إلى دِهْلي -وليس دلهي كما حَرّفها الإنجليز- أوصى الشيخ أحد أتباعه أن يركبني في القطار بجوار مسلمين خوفاً وحرصاً علي، ففعل الأخ ما كُلف به وأجلسني بجوار عائلة مسلمة، فمرّ القطار على نهر جانج الذي يقدسه الهندوس، فأشار الرجل إلى زوجه أن تعطيه شيئاً فأعطته بعض النقود

المعدنية فرمى بها في النهر جرياً على عادة الهنادكة !! فحزنت لاختلال عقيدة الرجل وثقافته وفهمه، لكن ما جرى عليه هو أمر لابد منه في ضوء ثقافة هندوسية غالبة وضعف في الثقافة الإسلامية ظاهر على أكثر المسلمين في الهند.

وهذا كما هو واقع في الهند فهو حاصل في بعض المناطق الأخرى الوثنية كإفريقيا السوداء، والبوذية كالصين، وغيرها.

٥. وجود ازدواج في التعليم في أكثر البلاد العربية والإسلامية:

إن النظام التعليمي في أكثر البلاد العربية والإسلامية فيه ازدواج غريب؛ فهناك نظام تعليمي "مدني" وتعليم ديني، وبعض الأحيان يقع هذا الازدواج منذ الصفوف التعليمية الأولى فيحرم طالب العلم المدني الطبيعي من التعليم الديني، ويحرم طالب العلم الديني من العلم الطبيعي، بل إن هنالك في إفريقيا دولاً لا تعترف بالشهادات الصادرة من

المدارس الدينية فيتخرج الطلاب بدون شهادة مقبولة فلا يجدون وظائف ولا تعترف بهم الدولة، وإذا اعترفت بعض الدول بالشهادات الدينية فإنها لا تسمح بتوظيف الخريجين بتلك الشهادات إلا في وظائف محددة وبأقل الرواتب، وبعض الدول تحرم طلاب تلك المدارس من دخول الجامعات، وهذا كله عقبة كبيرة أمام انتشار الثقافة الإسلامية في بلاد لا تقيم لها وزناً في كل مجالات الحياة تقريباً.

خـــاتمـــــة

كانت تلك الأبحاث الماضية محاولة لكشف النقاب عن بعض الجوانب المهمة في الثقافة: تعريفاً وتأريخاً وتحصيلاً وفوائد، ولا أزعم أني قد أحطت علماً بما كتبت عنه، وإنما هي فوائد استفدتها من قديم أردت أن أُفيد بها القراء، ولا أزعم -أيضاً- أني أوفيت البحث حقه لكني إنما أتيت على جوانبَ منه فقط، وما زال في المسألة الثقافية ما يستحق الكتابة، وربما الكتابة المطولة لكني أتيت بما أتيت به على طريقة الإيجاز التي أصبحت لا غنى عنها في هذا العصر -في ظني-.

وحسبي أني قد شاركت في هذا البحث خوض البحر العُباب، وأجبت على أسئلة ومطالب كثير من الأحباب والطلاب، التي ألحت بكتابة شيء في هذا الباب، والله تعالى الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

وأعود في الخاتمة لتأكيد ما ذكرته في المقدمة أن هذا البحث إنما هو للتقويم والتحسين والتوجيه وليس لإشاعة اليأس من حال الثقافة الإسلامية اليوم، وأحب أن أختم بتبشير القراء أن حال الثقافة الإسلامية اليوم غيره بالأمس القريب، بل ليس بين الحالين أفعل تفضيل، فقد كنا قبل صحوتنا الأخيرة في نهايات القرن الماضي في أسوأ حال فمن الله علينا، وثبت ديننا في الأرض، ونشر ثقافتنا على وجه غير مسبوق، ولهذا حديث طويل وتفصيل جليل، أرجئه إلى موضع آخر إن شاء الله هو به أليق وألصق.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن العظيم.

- "الإسلام وأثره في الثقافة العالمية": محمود الشرقاوي.

نشر رابطة العلام الإسلامي: سلسلة دعوة الحق. ربيع الآخر سنة ١٤١٦.

- "الإعلام والهيمنة الغربية" الأستاذ عبدالباسط دردور، بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية: طرابلس الغرب: العدد رقم ١٩ ص٣٢٥.

- "التراث والمعاصرة": د.أكرم ضياء العمري. سلسلة كتاب الأمة. شعبان ١٤٠٥.

- "الثقافة الإسلامية" المستوى الأول: تأليف د.علي بادحدح، د.محمد باجابر.

نشر مركز النشر العلمي. جامعة الملك عبدالعزيز. جدة.

- "ثقافة الداعية": الدكتور يوسف القرضاوي.

نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤٠٧/١٩٨٧.

- "الثقافة من المنظور الإسلامي": د.محمد الكتاني: بحث ألقاه في الدروس الحنسية في المغرب، وانظر "الدروس الحسنية": سنة ١٤٠٦.

- "حول الدين والدولة": د.نجيب الكيلاني.

نشر مؤسسة الرسالة، ودار النفائس. بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٦/١٩٧٦.

- "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام": د.عبدالستار فتح الله سعيد.

نشر دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٨٩/١٤١٠.

- "في ظلال القرآن": الأستاذ سيد قطب.

نشر دار الشروق. القاهرة، ودار العلم بجدة. الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٦/١٤٠٦.

- "كيف تبني ثقافتك": د.علي العمري.

نشر مؤسسة الريان بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦.

- "لمحات في الثقافة الإسلامية": عمر عودة الخطيب.

نشر مؤسسة الرسالة بيروت. الطبعة السابعة ١٩٨١/١٤٠١.

- "محاضرات في الثقافة الإسلامية": أ. أحمد محمد جمال.

نشر دار الفكر. بيروت، ومكتبة الثقافة مكة المكرمة. الطبعة الأولى ١٩٧١/١٣٩١.

- "مدخل إلى الثقافة الإسلامية": د.مصدق حسن.

نشر دار النهضة. دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧.

- "مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي": د.عبدالكريم بكار.

نشر دار القلم. دمشق. الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦.

- "من أجل انطلاقة حضارية شاملة": د. عبدالكريم بكار.

نشر دار القلم. دمشق. الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦.

- "المسلمون والبديل الحضاري": د.طه جابر العلواني.

نشر رابطة الشباب المسلم العربي. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨/١٩٨٨.

- "موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة" نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة سنة ١٤٢١-٢٠٠٠م.
- "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- "نحو ثقافة إسلامية أصيلة": د. عمر سليمان الأشقر.

نشر مكتبة الفلاح. الكويت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥.



فهرست الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٧
المبحث الأول: تعريف الثقافة وتاريخها	١٧
المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية: تعريفها، تاريخها، أهميتها وأثرها..	٣٩
المبحث الثالث: أهمية تحصيل الثقافة	٧٧
١- صحة التصور عن الكون والحياة	٧٨
٢- الاعتـــزاز بهذا الدين العظيم ومن ثم الدعوة إليه	٨٣
٣- معرفة الرأي الإسلامي الصحيح في القضايا المهمة	١٠٠
٤- الحصانة ضد الشبهات	١٠٢
٥- مقاومة الثقافات الوافدة	١٠٧
٦- المشاركة في توجيه المجتمع	١١٤
٧- سعة الأفق	١١٩
٨- اكتساب التوازن والشمول	١٢٢
المبحث الرابع: من هو المثقف؟ وآلية تحصيل الثقافة	١٢٥

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
اختلاف الناس في مفهوم الثقافة	١٢٥
أقسام الثقافة	١٢٧
آلية تحصيل الثقافة	١٣٥
تعريف القراءة الجادة	١٣٦
المبحث الخامس: طرائق بناء الثقافة	**١٤٣**
١ - تقوية الإيمان وتصحيح العقيدة	١٤٣
٢ - قراءة كتاب الله تعالى وقراءة تفسيره	١٤٨
٣ - الاطلاع الجيد على أبحاث الإعجاز	١٥١
٤ - الاطلاع على قدر جيد من سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه المشرفة	١٥٣
٥ - الاغتراف من الفقه قدر الحاجة	١٥٦
٦ - معرفة أصول الأخلاق الإسلامية	١٥٧
٧ - الاطلاع على تاريخ التشريع في الإسلام وطرائق الحكم	١٥٩
٨ - الوقوف على الشبهات المثارة ضد الإسلام والمسلمين	١٦٠
٩ - الاطلاع على تاريخ الإسلام، وحضارة المسلمين وثقافتهم	١٦٢

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة
١٠- الاطلاع على تاريخ العالم	١٦٧
١١- الاطلاع على التاريخ الحديث	١٦٨
١٢- الاطلاع على النظم العالمية: السياسية والاقتصادية والإعلامية	١٧٠
١٣- الاطلاع على جوانب من بعض العلوم الإنسانية	١٧٩
١٤- الاطلاع على بعض الوسائل الإعلامية	١٨١
أ بعض المجلات الإسلامية العامة	١٨١
ب بعض المجلات الثقافية العامة	١٨٣
ج بعض الجرايد اليومية	١٨٣
د بعض القنوات الفضائية	١٨٤
١٥- معرفة لغة أجنبية أو أكثر	١٨٨
المبحث السادس: النظر في بعض القضايا المعاصرة	**١٩١**
١- قضية فلسطين	١٩١
٢- اليهود	١٩٢
٣- التنصير	١٩٤

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
٤- الاستشراق	١٩٦
٥- العلمانية	١٩٨
٦- التكفير	٢٠٠
٧- الشيعة	٢٠٣
٨- التصوف	٢٠٦
٩- العولمة	٢١٠
١٠- الغزو الفكري	٢١٢
١١- المرأة المسلمة	٢١٥
١٢- سيرة عظماء الإسلام	٢١٨
١٣- اللغة العربية	٢١٩
١٤- شبكة المعلومات "الانترنت"	٢٢٢
١٥- المذاهب الفقهية	٢٢٣
١٦- الجماعات الإسلامية وحركات الإصلاح	٢٢٥
١٧- الجهاد	٢٢٨
١٨- فتن آخر الزمان	٢٣٥

الموضـــــــــــــــــــــوع	الصفحة
المبحث السابع: عقبات أمام انتشار الثقافة الإسلامية	٢٣٩
١- الاتجاه الفكري السائد في بعض الدول العربية والإسلامية	٢٣٩
٢- حرب الأعداء لهذه الثقافة الإسلامية	٢٤٠
٣- قلة المطروح على الناس من برامج ثقافية إسلامية جادة في القنوات الفضائية وسائر وسائل الإعلام	٢٤٢
٤- وجود كثير من المسلمين أقليةً في وسط أكثرية كافرة	٢٤٣
٥- وجود ازدواج في التعليم في أكثر البلاد العربية والإسلامية	٢٤٥
خاتمة	٢٤٧
فهرست المصادر والمراجع	٢٤٩
فهرست الموضوعات	٢٥٥